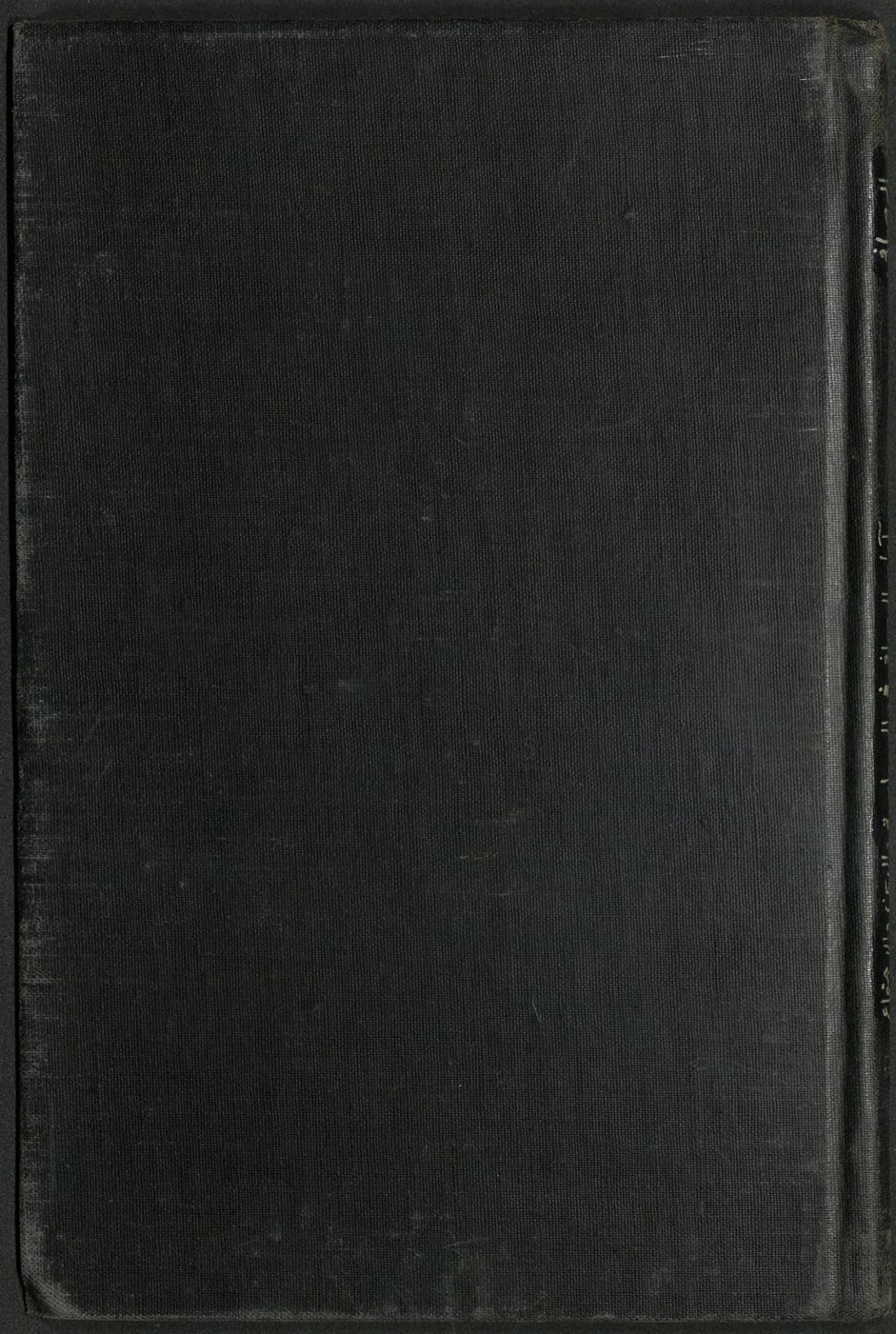
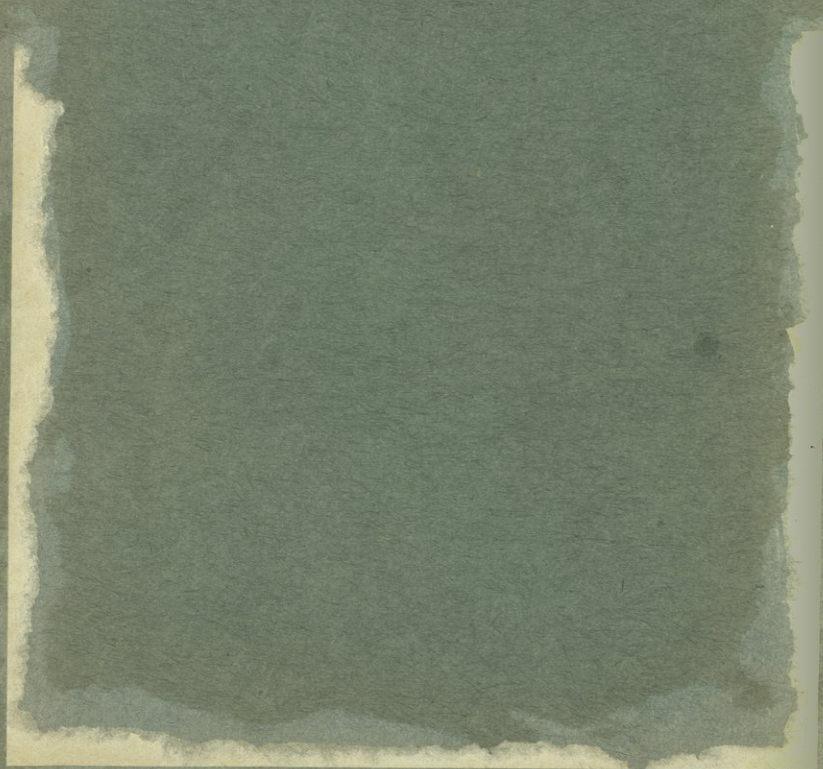




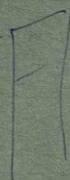
7

3



BBC
NOT

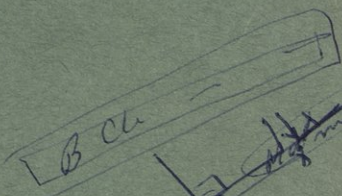
20



one

1-1-1

Redan
MSK ~



name

17

14.12

12



2

↑

2

12

14.12

10

10



14.12

10

10

10

10

10

10

10

10

10

AS

المجموعة الاولى

آراء الرضائي

في السياسة والدين والاجتماع

89278

R949 aH
C.I

بقلم

معروف الرضائي

جمع وترتيب

سعيد البدري

مكتبة

cat. Mar. 16. 54

طبعة القارف - بغداد

الفهرست

الموضوع	الصحيفة
رسالة الرضا في الى الاستاذ البدرى	٠٠
كلمة	٠٠
المقدمة	٠٠
الزعماء في العراق	٩
الاقطاعية في العراق	١٦
دور الاقطاع	٢٢
الى المغرورين باستقلالهم	٢٥
التقوية والخذاع	٣٢
دائرة التجسس البريطاني	٣٣
الطفل الهرم	٣٧
طفلنا المولود	٤١
الوحدة الاسلامية	٤٦
ما شيعة وما سنة	٤٧
إهداء الهدى	٥٠
بناء المسجد	٥٨
اقتران الدعوة بالسيف	٦٠
لا إله إلا الله	٦٢
غاية محمد (ص)	٦٤
حبه قریش	٧٥
حزم محمد	٨١



الاستاذ سعيد البدرى
صاحب جريدة المبدأ وجامع هذا الكتاب

صورة الكتاب المؤرخ ٢٥ آذار ١٩٤١ الذي أرسله ساعر

العرب الكبير المرموم الرصافي الى صديقه الاستاذ

عبد البري جابر هذه الرسالة والذي يثبت

فيه مؤلفاته الخطبة القيمة

٢٥ آذار ١٩٤١

حضرة الفاضل السيد سعيد البدري المحترم

٣

بدأنا بالتحية والسلام وندعو بالسعادة في الختام

هذا ما جرى به القلم عفواً ، عندما شرعت بالكتاب ، فليس هو
بشعر على رأي من يشترطون القصد ، في قول الشعر ، وان كان الذي
حملهم على هذا الشرط اخراج الآيات القرآنية المتزنة من تعريف الشعر
الذي قالوا في تعريفه أنه كلام موزون ذو قافية .

على أن هذا البيت الذي جاء عفواً ليس فيه ما يدعو إلى القول بأنه شعر
موزون . وله في الشعر العربي نظائر لا تعد ولا تحصى خصوصاً في
الشعر القديم . والذي أراه ان حقيقة الشعر قائمة بالوزن لأنه بالوزن
وحده يصلح للغناء . والشعر لم يكن الا ليتغنى به فهو وليد الغناء وريبيه
ولولا الغناء لم يكن للوزن في الكلام معنى معقول .

سبحان الله ! ان هذا الكلام كله لم يكن مقصوداً عندما أخذت
القلم للكتابة فالتشكلم بما هو مقصود : جوابك لكتابك الاخير أقول

ان الجزء الخامس من الرسالة العراقية يحتوى على مقالين احدهما
 (تاسوعاء شعبان) الذى كتبناه قبل براحك الفلوجة فاطلعت أنت
 عليه . فاني كتبته أولاً في رسالة (خواطر) ثم رأيتُه يناسب الرسالة
 العراقية اكثر فألحقته بها . والثاني هو مقال (المسلمون في هذا العصر)
 وهذا على (ما أظن) كتبناه بعد براحك الفلوجة فلم تطلع عليه وهو
 مقال اطول من تاسوعاء وفيه مباحث شتى لم يتطرق اليها علماء الدين من
 قبل بل لم ينتبهوا اليها البتة وقد أثبت فيه ان لا ملكية في الاسلام .
 فان كنت قد اطلعت عليه واستنسخته كما استنسخت تاسوعاء فلا حاجة
 الى ارساله اليك .

وقد كتبت مقالا آخر مسهباً بعنوان (هل لمحمد معجزة سوى
 القرآن) وبحث فيه عن الشخصيات المرئية في الاسلام والحقته بكتاب
 (الشخصية المحمدية) فصار به الكتاب ثلاثة واربعين جزءاً .
 هذا والسلام عليك من أخيك في الله

المخلص

معروف الرصافي

كلمة

بفلم الإنسان صغير البري

في أواخر صيف ١٣٩٤ كان لي شرف التعرف على « الرصافي » الشاعر العربي المبقر العظيم ، وقد لازمته ملازمة التلميذ لأستاذه ، والصديق لصديقه ، وبعد أن اطمئن رحمه الله إلى اخلاصه له ، ووثق من احترامي وأكباري لشخصيته ، تطف فاطلعي على كثير من نتاج افكاره ، وآرائه ، ومبادئه ، ومعتقداته ، ثراً وشعراً ، وقد دونها في مخطوطات قيمة كتبها بقلمه وبخطه ، وسمح لي بمطالعتها ، ثم اجازني فاستنسخت منها ما رغبت في استنساخه ، وابع لي نشر ما احبذ نشره ، فنشرت مقطوعات شعرية ، ونتاجاً ادبياً في صحف بغداد والبصرة وعلقت عليها ، كما كتبت صورة قلمية عن حياة هذا الشاعر الخالد وهو في دور شيخوخته يوم كان في معزله في « الفلوجة » كانت مثار إعجاب القراء ، والمعجبين بنبوغ هذا الشاعر الكبير .

ويوم اصدرت ، وصديقي الكريم الشاعر المعروف الاستاذ نعمان ماهر في الربيع الماضي سفرنا الصغير « الرصافي في اعوامه الاخيرة » الذي بحث في القسم الثاني منه عن مؤلفات « الرصافي » سيما عن كتابه « الشخصية المحمدية » و « الرسالة المراقية » و وعدت القراء الكرام بنشر فصول من هذين الكتابين النفيسين إنهالت عليّ الكتب والرسائل من أنحاء العراق وبعض البلاد العربية ، وكلها تلج في الطلب ، وتلحف في الرجاء ،

للمسارعة في نشر هذه الفصول .

وبراً بأبجاز العهد الذي قطعتة : فاني اضع بين ايدي قراء الأمة العربية الكريمة المجموعة الاولى من آراء المرحوم الرصافي في السياسة والدين والاجتماع ، وهي فصول اخترتها من بطون السكتابين المذكورين ، بعد ان عدت الى دراستهما دراسة عميقة ودقيقة فأثبت هذه المواضيع التي عرضتها على « شخصية لها مكانتها العلمية والقانونية » غذفت بعض عبارات وجل لا يجوز نشرها في الوقت الحاضر .

ليس لي فضل في اخراج هذه الرسالة الرصافية الى عالم النشر سوى اختيارها وترتيبها وجمعها ، ولا أري من وراء نشرها إلا خدمة العلم والأدب .

وسيجدني اصدقاء الرصافي ، والمعجبون بنثره وبشعره ، غير ضنينين ولا حريصين ، ولا محتكرين لآثار الرصافي العلمية ، التي اصبحت بعد وفاته ملكاً للامة التي انجبتة ، وسأعمد الى نشر كل ما يمكن نشره من آثاره في الشعر والنثر ، والله الموفق م

المقدّمة

بقلم الشاعر المعروف الأستاذ هاشم الراوي

هذه فصول تنطوي على افكار نيرة وآراء حرة دمجتها براعة
الرصافي الشاعر الحر المعروف بالجرأة والصراحة والاقدام ، عالم فيها
اوضاعنا السياسية والدينية والاجتماعية بلهجة صادقة وحجة قوية ،
والرصافي في ميدان السياسة والدين والاجتماع صولات وجولات تشهد
له بالتفوق فمن ذلك قوله :

أنا بالسياسة والحكومة اعرف	الأم في تفنيدها واعنف
سأقول فيها ما أقول ولم أخف	من ان يقولوا شاعر متطرف
هذه حكومتنا وكل شموخها	كذب وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموه وجهها	جميع ما فيها بهارج زيف
وجهان فيها باطن متستر	للاجنبي وظاهر متكشف
والباطن المستور فيه تحكم	والظاهر المكشوف فيه تصلف
علم ودستور ومجلس امة	كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها	اما معانيها فليست تعرف

الى آخر هذه القصيدة العصماء التي تستثير الشعور وتهز العواطف .

ومن كان له ما للرصافي من الجرأة والصراحة والاقدام فهو لا يحايي
ولا يداهن ولا يتزلف ، يجهر بالحق ويكره المخاتلة والزيف :

احب صراحتي قولاً وفعلأً واكره ان اميل الى الرياء

ان الرصافي حر الضمير قوى الشكيمة صلب المريكة لا يتزعزع أمام
 المواصف الهوجاء ، حاربه رجال السياسة خالوا دون انتشار الكثير
 من افكاره وآرائه لثلاث حطم اصنامهم وتزلزل ابراجهم ، وحسده بعض
 رجال الدين على ما آتاه الله من عقل ودراية فتعرضوا له بالسوء وشددوا
 عليه النكير ورموه بالكفر والزندقه والاتحاد ولو ملكوا ان يقارعوه
 الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان لكان الامر ولكنهم تسلحوا لمقارعتة
 بالشتائم الرخيصة والسباب البذيء بينما كان سلاحه العلم الصحيح والمنطق
 السليم وشتان بين السلاحين :

وجردت شعري من ثياب رياءه فلم اكسه الا معانيه الغرا
 اضمنه معنى الحقيقة عارياً فيحسبه جهالها منطقاً هجراً
 ويحمله الغاوى على غير وجهه فيوسمعي شتماً وينظرني شزراً
 رويدك ان الكفر ما أنت قائل وان صريح العرف ما خلته نكراً
 هل الكفر الا ان ترى الحق ظاهراً

فتضرب للانظار من دونه سترا ؟

اذا كان في عرى الجسوم قباجة

فأحسن شيء في الحقيقة ان تعري

لم ارد في هذه الكلمة ان ادخل في تحليل ما في هذه الفصول من
 آراء وافكار فتحليل ذلك اتركه للقراء الكرام انفسهم اما انا فأود ان
 اوجه الانظار بهذا الى أن ما كتبه الرصافي وما قاله في حياته لم يجد صدوراً
 رحبة من رجال السياسة والدين تتسع للمناقشة العلمية والجدل المنطقي
 ولهذا فان الكثير منهم لا يرتاحون لآرائه وافكاره ويعمدونها خروجاً

منه على المؤلف ولو انهم امعنوا النظر فيها وناقشوها بروية وتعلقل
لغيروا رأيهم فيه ووضعوه من نفوسهم موضع الاحترام والتبجيل غير
انهم ويا للأسف كانوا منقادين للعاطفة مسيرين حسب الاهواء وهذا لعمر
الحق هو علة الانحطاط وآفة التردى .

ولا اود ان اختم هذه الكلمة قبل ان انوه بجهود الاستاذ السيد
سعيد البدرى الذى خدم العلم والأدب وأسدى للعراقيين خاصة وللعرب
عامة خدمة جليلة باخراج هذه المجموعة التي هي من أهم آثار استاذة
الرصافي .

واذا اتيسح لك ان تقرأ ما فيها فستعطيك صورة واضحة جليلة عن
وجوه الاصلاح السياسي والديني والاجتماعي وتضع يدك على الداء وترسم
لك طريقة العلاج وانت بعد ذلك حر ان تتصرف كما يحلو لك ، ومن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

فاسع الراوى

بغداد :

٢٥

الزعماء في العراق

إذا تصورنا الزعامة بأسمى معانيها ، جزمنا بأنه لا بد للزعيم من صفات تؤهله للزعامة ، منها كونه السيد المحترم ، والآمر المطاع ، والناصح المخلص ، والمرشد الخبير الهادي الى الطريق الارشد . والمتفادي الذي ينسأخ من نفسه في مصلحة قومه ، والصادق الذي ترتدق اقواله الاعمال ، والهام المقدام ، الذي يقتحم في مصلحة قومه المبالك والاهوال .

هذا ما يشترط في الزعيم ، واما ما يشترط في المزعموم عليهم فهو ان تجمعهم تحت لوائه فكرة سامية ، وغاية عالية ، تكون اما من وحيه اليهم او من وحي غيره اليه ثم اليهم ، ولا فرق بين ان تكون تلك الفكرة دينية او وطنية او قومية ، او نحو ذلك من مثل اعلى وغاية قصوى ، فهم في جميع امورهم يتجهون نحو تلك الفكرة السامية ، وينضون اليها ، ويجمعون تحت لوائها حتى تتكون فيهم وحدة لا تفلقها الارزاء ، ولا تفرقها الاهواء ، والا فلا معنى للزعامة على اخلاط من الناس عباديد لا تجمعهم جامعة ، ولا تقودهم فكرة ، ولا توحدهم غاية ، واذا قبض انه لمثل هؤلاء زعيما ، فأول ما يجب ان يسعى اليه فيهم هو جمع كلمتهم ، وتوحيد قلوبهم ، وتوجيههم الى غاية معلومة ، وخطوة مرسومة ، وعندئذ تتم له الزعامة عليهم فينبض بهم الى ما يريد .

وقد شهد التاريخ ، وايدته التجارب ، وصدقته البراهين بأنه ليس من الممكن عادة ان تتسع امة من الامم - مهما كبرت - لا كثر من زعيم واحد في جيل واحد ، والا فلو اتسعت لأكثر من ذلك لما كان

لزعامة قدر اعلى من قدر الوزارة ونحوها من مناصب الدولة التي ينالها الناس بالتفويض .

ليست الزعامة ثوباً يلبسه الناس من ارادوا ، ولا تاجاً يضعونه على رأس من احبوا ، وانما هي مما تأتي به الاقدار ، وتتمخض به الاجيال ، وتنجمه الاصلاب والارحام ، اي هي كالنبوة من الجبلات التي لا تصدر إلا من طراز الله .

ليست الزعامة بمعناها المتعارف اليوم من الامور الاعتيادية بل هي من خوارق العادة ، في فطر الناس وسجاياهم ، ولا بد لظهورها من اسباب غير اعتيادية ايضاً ، فقد تكون الصفات اللازمة لها كامنة في بعض ابناء الامة ، فلا تظهر إلا بحوادث تفوق المعتاد من صروف الدهر ونوازل الايام كالحوادث التي ظهرت بها زعامة مصطفى كمال في الامة التركية وزعامة هتلر في الامة الالمانية .

* * *

بعد هذه المقدمة الوجيزة اريد ان اقول كلمة متحيرة متعجبة لكثرة ما انجبه العراق في عهده الاخير من الزعماء ، ان في العراق اليوم اخلاطاً من الناس مختلفي العناصر والاجناس ، فيهم العربي المستنبط ، والنبطي المستعرب ، وفيهم المضرب ، والمذرع ، وفيهم المقرف ، والهجين ، وقاما تجد فيهم الهجان ، وهذا التواشج في الانساب غير مستحدث بل هو قديم حصل عقب النهضة الاسلامية ايام الفتوح التي اختلط فيها العرب بغيرهم من الامم ، والى هذا اشار المعري في لزومياته إذ قال :

قد امترج العالم الآدي فغورية مع نجسدية

وام الغزاري تركية وعرس النجری كردية
وزوج السكلابية الكاسكي وعرس السكلابي صفدية

واستمر هذا الامتزاج والاختلاط متزايداً الى يومنا هذا ، وعم
هذا الامتزاج الروم والفرس والترك والسكرد وغيرهم من الناس الذين
بلغهم الاسلام وفتح بلادهم ، حتى اشتبكت اوشاج العروق والدماء
بعضها ببعض ، وزادوا على اشتباكهم في الدماء اشتباكهم وتواشجهم
في الالفة والصحبة والمعاشرة لأن الاسلام جمع بينهم وجعلهم امة واحدة
فترى العربي يقيم بين الفرس او الروم او غيرهم فيخالطهم ويتزوج منهم
حتى يتعلم شيئاً من رطائهم ويتخلق بأخلاقهم ويتعود عاداتهم ويولد له
فيهم اولاد لا ينشئون إلا نسلاتهم ، ولا يتكلمون إلا بلسانهم لأن الولد
في نسلته تابع لأمه . وكذلك القول في الفارسي او الرومي الذي يقيم بين
العرب فيخالطهم ويتزوج منهم فيولد له منهم اولاد يكونون اقحاحاً
والى هذا اشار المعري في لزومياته بقوله :

تخالف النجر فالرومي منطقهم كمنطق العرب والطائي مرطان

وقلت انا في قصيدة مضحكات الدهر :

ويا رب تركي تعرب وادعى على عربي هجنة المترك

يقال ان اهل العراق اليوم لا يزيدون على خمسة ملايين ، ومهما كان
عددهم ، فهم ممسوخون ، في السجاياء والاخلاق ، إذا نظرت الى سوادهم
قلت متعجباً ما هذه الاوباش ؟ . واذا نظرت في اخلاقهم قلت متحيراً
ما هذه الاحناش ؟ . بعدت شقة ما بين الباطن منهم والظاهر تراهم
مبتسمين وهم محتربون ، ومقتربين وهم مبتعدون كما قال الله تعالى :

« تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ». يزعمون انهم يدينون بالاسلام ، وليس عندهم منه غير اسمه ، وتراهم مع ذلك يرفلون منه ، في اثواب الرياء ، ايمانهم متتابعة ، يسردونها لك سرداً ، وهم فيها كاذبون ، وكأن الكذب عندهم مباح ، فهم لا يصدقونك حتى في رد السلام .

وكيف يدينون بالاسلام وانت تراهم من عاداتهم المنكرة وتقاليدهم المستهجنة يتخططون في حمأة ننة من هيجيتهم التي اعادوا بها الجاهلية الجلاء على اشنع وجه وافظعه ، والحكومة من ورائهم تؤيدهم في ذلك بقانون العشائر ، ذلك القانون الذي ليس هو كفراً في الاسلام فقط بل هو كفر واشنع من الكفر في جميع الاديان ، وليت هذا القانون خص بأهل السواد من العشائر الذين يسكنون الارياض يحرثون الارض ويزرعون كما تقتضيه تسميته بقانون العشائر ، ولكننا نراه إذا شاء الهوى جرى تنفيذ احكامه على اهل المدن ايضاً كما وقع ذلك غير مرة ،

* * *

لا استطيع في هذه الكلمة الموجزة ان اصف لك ما في العراق من الهمجية المؤيدة بهذا القانون ، أي اقول لك باختصار ان المرأة عند هؤلاء لا ترث بل هي نفسها مال موروث فهي عندهم كالبقرة والشاة وغير ذلك من دوابهم تباع وتشترى وتجري فيها المساومة فتعطى في الديات ، وتمنح متعة في الجنائيات وبالجملة هي مال متقوم حتى ان من كان منهم ذا بنات عد نفسه من الاغنياء ، واذا كانت المرأة ذات زوج فساوم وليها رجل آخر بأكثر مما دفع زوجها ارغم زوجها على الطلاق وربما اذا كان زوجها غائباً زوجها وليها آخر من دون طلاق طمعاً في اخذ

الصادق كما شهدت ذلك في لواء العمارة وفي لوائي ديالى والرمادي .

* * *

واعلم ان دعاوى العشائر لا يعود المتخاصمون فيها الى المحاكم المدنية ، بل يكون الفصل فيها عند رجال الادارة كالمصرف والقائم مقام ومدير الناحية ، وتؤلف لها محكمة من عدة محكمين ينتخب بعضهم المدعي وبعضهم المدعى عليه ويرأس هذه المحكمة المتصرف والقائم مقام الذي اعطته الحكومة سلطة عشائرية لفصل دعاويهم ، ويكون الحكم فيها بمقتضى أحكام قانون العشائر .

واليك بعض الاحكام الصادرة من قبل هذه المحاكم نذكرها لك على سبيل المثال لتعلم في اي جاهلية جهلاء بهم هؤلاء الاهاج .

كنت في سنة ١٩٢٨ قد زرت صديقي السيد خيرى الهنداوي وكان إذ ذاك قائممقاماً في علي الغربي (بلدة على شاطئ دجلة دون العمارة) وبينما كنت جالساً عنده في مكتبه الرسمي إذ جيء اليه برجلين من عرب عشائر العمارة كان احدهما قد صيغ اخت الآخر ، والتصديق في عرفهم هو ان يتعرض الرجل لامرأة بشيء من المرادة يقولون في كلامهم «صيّح فلان بنت فلان اذا راودها عن نفسها ، فأخذ السيد خيرى يكلمها بما فهمت منه ان الحكم في قضيتها هو اعطاء المدعى عليه اي الجاني المراد اخته الى المدعى عليه الذي اخته مصيحة اي مرادة يتزوجها بلا مهر ولا صداق ويأخذها كأنها أمه يتسراها او يستخدمها كما يشاء .

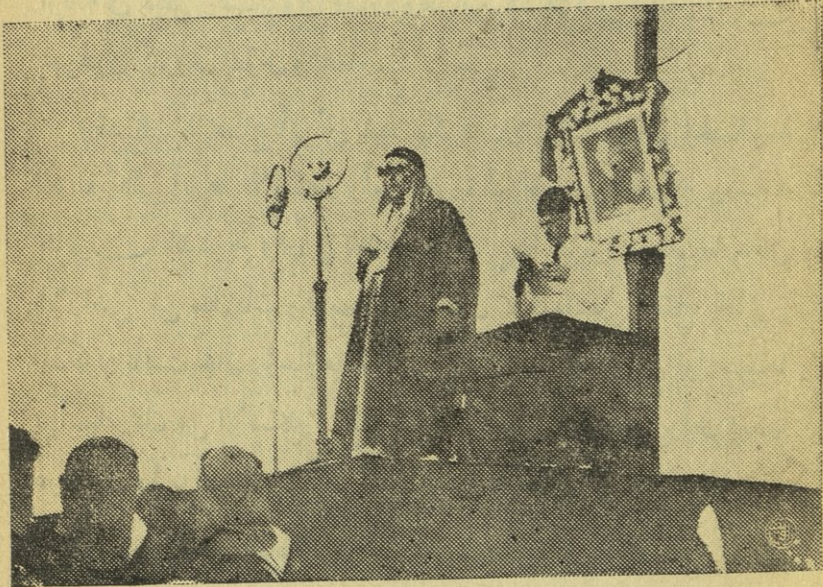
فأخذني العجب من هذا الحكم الجاهلي الجائر وقلت للسيد خيرى ما ذنب هذه المسكينة اخت الجاني تعطى على هذا الوجه من اجل جنابة

جناها اخوها ، فأجابني السيد خيرى بأن هذا هو حكم قانون العشائر الذي يقضي بينهم بما لهم من عرف وعادة ، فقلت ان هذا حكم لم تقبله العرب وهم في الجاهلية فكيف وهم في الاسلام ، قال وازيدك علماً بأن التي تعطى كهذه في الجنائيات لا تكون لها اى حرمة عند اخذها بل تعيش محتقرة مهانة تتمهن في المهن كأمة من الاماء ، اللهم إلا اذا ولدت ولداً فإن خطبها عندئذ يهون بعض الشيء .

وفي سنة ١٩٣٢ كنت في العمارة وكان المتصرف فيها إذ ذاك السيد عارف ققطان العاني ، وبينما كنت جالساً عنده ذات يوم في مكتبه الرسمي ايضاً إذ جيء اليه بامرأة ورجلين من عرب لواء العمارة ، فانهار المتصرف على احد الرجلين لعناً وشتماً ثم التفت اليّ وقد رأني متعجباً منه وقال انظر الى هذا الملعون وهو اخو المرأة وذلك الآخر زوجها . اتدري ما ذا فعل اخوها قلت لا ، فقال ان زوجها هذا ذهب الى البصرة قبل شهرين ليفتش له عن شغل هناك ، وبينما هو في البصرة إذ جاء رجل الى هذا الملعون اخيها فطلب منه ان يزوجه إياها فوافقه على ذلك طمعاً في المهر . ولما بلغ ذلك زوجها في البصرة جاء مشتكياً ثم التفت المتصرف الى اخيها وقال يا ملعون كيف تزوجها وهي ذات زوج موجود في البصرة ، فما كان من اخيها إلا ان سمعته يقول : وهذه كلماته بعينها « والله يا يسبح ما يذلها خرجية » اي ان زوجها لم يرسل اليها نفقة ، وفي النتيجة كان الحكم باعادة المرأة الى زوجها الاول واستعادة المهر من اخيها الى الزوج الثاني الذي هو غير شرعي . فكان هذا الحكم بمثابة رحمة نزلت من السماء على الزوج الثاني لأنه استرد المال الذي اعطاه مهراً وقضى وطره

في المرأة مجاناً مدة من الزمن .

اكتفي بهذا الذي ذكرته على سبيل الاستطراد . وسأعود اليه عند الكلام على حالتنا الاجتماعية ، وانما جرننا اليه هنا ما قلناه آنفاً من انهم يزعمون انهم يدينون بالاسلام ، فألشدتكم الله ايها القارى اين هذا من دين الاسلام ؟ واين الاسلام منه ؟ وتالله ان الرواة لم يتحدثنا بمثل هذا في عصر الجاهلية الجاهلاء ، او ما تستحى الحكومة العراقية من قولها في دستورها ان دين الدولة هو دين الاسلام وهي مع ذلك تنفذ احكام هذا القانون الذى ينقض الدستور كما تنقض الصاعقة البناء .



الرصافي يؤين جلالة المغفور له الملك فيصل الاول

القطاعية في العراق وقانون التسوية

ثم ان العراق اليوم يمثل العصور الاقطاعية بأشود وجوها السود ، واقبح صورها المنكرة ، حيث ترى فيه من يملك الوف الفدادين من اراضيهِ التي تسقى سيحاً او بواسطة المضخات ، وترى في ملكه الواسع العظيم الوفاً من الناس يكدون له ويكدحون ، ويحرثون ويزرعون وليس لأحدهم من مرافق الحياة سوى ثوب اسمال ورغيف خشكار ، وترى صاحبهم في نعيم سابغ ، وعز باذخ ، وشرف شامخ ، يقضي اوقاته في عيش رغيد ، وفي قصف وهو من كد هؤلاء المدقعين الذين يجرعون كؤوس البؤس والشقاء .

وقد كان للاقطاع أثر في عهد حكومة الاتراك خجاء الحكومة العراقية التي أبوها الانكليز وأما الثورة العراقية فقوته ووسعته بقانون التسوية وهي في الظاهر تريد بهذا القانون حسم ما يتعلق بالاراضي من منازعات ومخاصمات بين الناس ، فبمقتضى احكام القانون المذكور تألفت لجان رؤساؤها اجانب وبقيت هذه اللجان في اول عهدها يرأسها رجال من الانكليز اكثر من عشرة سنين . ثم صار يرأس بعضها عراقيون ولم يزل بعضها الآخر تحت رآسة الانكليز الى يومنا هذا .

أما جعل رؤساء هذه اللجان من الانكليز فهو في الظاهر شي تبرعت به الحكومة العراقية وليس هو في الباطن تبرعاً بل كان بطلب من الانكليز انفسهم ، إذ هم يريدون بهذا القانون تثبيت سياستهم الاستعمارية باعطاء من والاهم ، وحرمان من عاداهم ، وليس هناك وسيلة

الى ذلك أحسن من الاخذ بالنظام الاقطاعي في العراق بواسطة هذا القانون .

وكذلك فعلوا ، فان رجال الانكليز الذين ترأسوا على هذه اللجان قد اعطوا من شأوا ، وحرموا من شأوا حسبما اقتضته سياستهم الاستعمارية . فأصبح الذين هم عبيد الانكليز من اكبر الملاكين في العراق ، ولم تنجل الحكومة العراقية عن دعوى الاستقلال وهي ترى هذه اللجان بحكم رؤسائها تثبت في العراق نظام الاقطاع على وجه لم يسبق لها نظير في التاريخ ، فكم ترى في العراق من صاحب مزارع واسعة ، ومضخات كثيرة ، كان بالأمس صعلوكاً من الصعاليك . اذكر لك إثنين من هؤلاء أحدهما كان جاسوساً من جواسيس الانكليز ايام الاحتلال والثورة العراقية . ولم يزل جاسوساً من جواسيسهم بل عبداً من عبيدهم الى يومنا هذا الذي كان قبل ذلك شواكاً يبيع حزم الشوك في بغداد وهو اليوم من كبار المثرين في العراق ، والثاني هو وهذا هو ومن التف عليه من شذاذ عشائر ... قاتلوا الثوار العراقيين مع جند الانكليز في الثورة العراقية حول الرمادي وهيت وحتى وصلت جموعهم الى عنه تتقدم جنود الانكليز طلائع لهم على الثوار العراقيين ، ولما قتل الشيخ ضاري رئيس عشيرة زوبيع المستر لشمن الحاكم السياسي في لواء الدليم والتحق بالثوار العراقيين هو ورجال من عشيرته زوبيع كتب اليه هذا يتهدده ويتوعده بأن يزحف به بجموعة من عشيرة حتى اضطره أخيراً الى الخروج من العراق ناجياً بنفسه من طالبي دمه الانكليز و وملك

الشيخ اليوم يمتد من شمالي الرمادي الى ضواحي بغداد .
وأعجب من هذا كله ان تنفيذ قانون التسوية وتأليف لجان برئاسة
رجال من الانكليز كان في بدء امره قد جرى على يد زعيم من زعماء
العراق وما اكثرهم كما يدعيه المتملقون المتبجحون أعني به ذلك
الذي :

اقام على عينيه منظار نفعه فنه الى كل المقاصد ينظر
وقد اعترضت عليه مرة في المجلس النيابي فقلت : على سبيل ارخاء
العنان في المحاجة هنا ، إذ سلمنا لكم ان ما للانكليز من القواعد الجوية
الحربية في العراق لا ينافي استقلالها المزعوم ، بحجة ان الانكليز قد
ضمنوا في عهدهم للعراق ان يدافعوا عند وقوع هجوم خارجي عليه
فاقتضي ذلك وجود هذه القواعد الجوية فيه ، ولكن ما ذا تقولون في
ترأسهم على المحاكم الكبرى ؟ وعلى لجان التسوية في العراق ، فان فصل
المرافعات الحقوقية والجزائية والمخاضات المتعلقة بالاراضي ليس من
المسائل التي لها علاقة بالانكليز وانما هو من المسائل الدخيلة البهتة ،
فكيف جعلتم هذه اللجان يرأسها رجال من الانكليز ؟ وهذا هو أيضاً
عندكم لا ينافي الاستقلال ؟ ...

فقام وأجاب بأنهم جعلوا رؤسائها من الانكليز مؤقتاً ريثما
يتدرب العراقيون على العمل تحت رآستهم ، ثم قال واما الاستقلال فشيء
غير موجود .

ولقد صدق في الجملة الثانية ولم يصدق في الاولى ، لأن فصل
الخصومات المتعلقة بالاراضي ليس من الامور الفنية التي يحتاج العراقيون

في العمل فيها الى التدريب ، وفيهم من القضاة الحقوقيين من لا يحصى عددهم ، اما الحقيقة فهي ان مصالح الانكيز السياسية الاستعمارية في العراق هي التي جعلت رؤساء تلك اللجان رجالاً منهم لكي يتسنى لهم بذلك ان يستعبدوا من الناس من شاؤوا ويعطوا منهم من أحبوا ، وفي العقبى لسكي يثبتوا في العراق نظام الاقطاع ، كما جرت على ذلك سياستهم في الهند وفي غيرها من مستعمراتهم في الشرق ، على أن هذا الزعيم المزعوم لم يماش الانكيز في هذه السياسة الملعونة لوجه الله ، بل أخذ هو ايضاً يمتلك من الاراضي ما يسد عوز الوف مؤلفة من أهل العراق ، حيث صار له اكثر من مائة مضخة يستقل في خمس وعشرين منها — ، ويشارك اصحاب الاخرى في ريعها ، هذا عدا ما استقل هو بملكه من نهر ... وعدا ما امتلكه من الرقاق التي يزيد عددها على عشرين رقة في شواطى دبالى ، كما انه امتلك في بغداد ارضاً واسعة بنى له فيها قصراً نفماً وهو من اكبر القصور التي بناها الاقطاعيون في هذا العهد .

ولكنه مع ذلك يسمى بالزعيم ، وليس هو فيما يزعمون بزعيم العراق فقط بل زعيم العروبة التي بعثت من ... فويل له من العروبة وويل للعروبة منه .

* * *

كل ما في العراق فظيع ، وبقدر ما هو فظيع عجيب ، ومن اعجب عجائبه اننا نرى العراق على فظاعة انمساخه ، وشناعة انسلاخه ، من الاستقلال السياسي بمعناه الصحيح الخالي من كل بهرجة وتؤويه ، قد اصبح اليوم حاملاً لواء الزعامة في العروبة يلوح بها تلويحاً سياسياً قومياً

الى الشام ، والحجاز ، واليمن ، ومصر ، وبرقة ، وطرابلس ، وتونس
والجزائر ، ومراكش ، وهو بذلك في ظاهر الامر يدعو العرب اجمع
الى وحدة قومية سياسية عربية ، وهو في دعوته هذه يتجاهل ان
الامة العربية هي اليوم لم قد وضعتها على وضعتها على ثلاث دول عظمى من
الغرب ، وهي بريطانيا ، وفرنسا وايطاليا ، وان كل واحدة من هذه
الدول قد اتاحت بكلها على البلاد تستغل كنوزها لتستعبد نفوسها ،
وتعد فيها احبيل الفساد ، وتوثق في اعناق اهلها اغلال الاستعباد ،
وتستفرغ كل ما في وسعها في التمويه عليهم والتضليل .

ثم ان العراق عند دعوته الى هذه الوحدة يتجاهل وضعه السياسي
من بريطانيا ولا ينجل من ان يكذب على نفسه في دعوى استقلاله ،
وهو من معاهدته المعلومة يرسف في الاقياد ، ويرتعد تحت زحمة
معسكرين عظيمين يسميان مطاراً ، احدهما في جنوبيه بالشعبية قرب
البصرة ، والآخر في شماليه بالحبانية على شاطئ الفرات الاعلى ، فهو في
هذا الاستقلال العجيب تراه متعامياً عن شواظ هذين المعسكرين ،
متصامماً عن زفيرها متجاهلاً انه ليس إلا خمة يذبيها ما هنالك من نيران
في أقل من ساعة من نهار .

وستنكلم عن هذه الوحدة القومية العربية ، بما يكشف النقاب عما
ورائها من دسائس وريب ، سوى اتنا نقول الآن على سبيل الاستطراد
ان هذه الوحدة هي بنت الوحدة الاسلامية التي كان بعض رجال الترك
يضربون على وترها في عهد الدولة العثمانية البائدة ، واذا نظرنا فيما
للمسلمين عامة وللعرب خاصة من احوالهم الحاضرة في السياسة والثقافة ،

ولما لهم من سجايا مختلة ، واخلاق معتلة ، وما بينهم من اختلافات دينية ،
 وضغائن مذهبية ، قلنا قولاً لا مرء فيه ان كلتا الوجدتين تكاد
 تكون من المستحيل عادة أو شبه المستحيل فى الوقت الحاضر ، واكبر
 مانع لتحقيقها هو السياسة الاجنبية المسيطرة على البلاد العربية ، وعلى
 اكثر البلاد الاسلامية .

أتريد بعد هذا ايها القارئ الكريم ان نحدثك عن انجبههم العراق
 فى هذا الزمان من الزعماء ؟ ، وقد علمت وكما ستعلم فى اية حالة محزنة
 هو اليوم ، أم تسكتفى بمن ذكرنا من زعيم العروبة الذي قد مررنا به
 مر الكرام ، ولو اننا كشفنا لك عن جميع وجوهه الخفية لطال الكلام ،
 واستعصى الخصام .

دور القطاع

كانت في العراق طبقة قليلة من الاغنياء المختلفي الدرجات في الغنى ، وكان كل واحد من هؤلاء قد جاء به الثروة اما عن طريق التجارة ، أو الزراعة ، واما عن طريق الارث من آباءه واجداده ، ومنذ عشرين سنة تقريباً أي منذ قامت الدولة العراقية الى يومنا هذا قد قامت في العراق طبقة اخرى من الاغنياء . غير الطبقة الاولى ، وهذه الطبقة الغنية الجديدة كلها من ارباب المناصب والرواتب ، الذين كان كل واحد منهم قبل ذلك صعلوكاً لا يملك غير دار يسكنها ، أو لا يملك داراً للسكنى ، وقد اصبحوا وهم اليوم من ارباب الثروة الطائلة ، لهم القصور الفخمة ، والعقارات الضخمة والبساتين المثمرة ، والاراضي المستغلة تسقيها المضخات الكبيرة ، وتأتيهم منها الغلال الوفرة ، واني لأعرف واحداً منهم كان قبل هذا يذهب من حين لآخر الى الملك فيصّل وينكب على اقدامه شاكياً اليه فقره ، حتى ادخل في زمرة الموظفين فتدرج فيها مرتقياً في مدة يسيرة الى الوظائف الكبيرة ، وما مرت عليه عشر سنوات إلا وقد اصبح من اغنياء هذه الطبقة ، وهو اليوم لم يزل مديراً لا كبر دائرة مستقلة من دوائر الحكومة ، كما انه بثروته واملاكه أصبح معدوداً من اغنياء هذه الطبقة الحديثة .

ومن الغريب ان هذا الشخص ، ولا اقول هذا الرجل لأنه اقل من ان يكون رجلاً ، لا بمجانيه ولا بمجانيه ، مع ما اصبح يملكه من ثراء لا يملك رزاة عزة لا عقل وزّة . بل هو مخلوق من الطيش والحق

يمكن اوسع من مكانه فى الثراء وهو لعمر الله اجمل من ابن يوم بكل
امر من امور الدائرة التي هو مديرها اليوم

فيا ايها القارئ الكريم اننا لو جمعنا جميع الرواتب التي اخذها
هؤلاء من خزينة الدولة ، وفرضنا انهم لم ينفقوا منها فلساً واحداً فى
سبيل معاشهم لما بلغت عشر ما يملكون من ثروة ، هذا مع اننا نراهم
من العيش فى خفض ورفاهية ، ولم يقتصروا فى انفاق المال على حاجيات
الحيات الضرورية فقط بل على الكماليات ايضا ، حتى ان من هو مبذر
فى الانفاق ، مسرف فى القصف ، فكيف ومن اين جاء بهم هذه
الثروة ؟ ! ... فهل فأت لهم الارض كنوزها ؟ .. أم هل استحثوا
الارض فاستخرجوا ركاظها ؟ ام هل عثروا على خزينة فيها فاستخلصوا
الذهب منها ؟

فان قلت أليس هذا الثراء الذى حصل لهؤلاء من دلائل تقدم البلاد
فى عمرانها ، وفى سائر امورها الاقتصادية ؟ . قلنا لو كان هذا الثراء
حاصلاً لهم بوسائل عمرانية اقتصادية لكان كما تقول ، اما هو وقد
حصل لهم من طرق غير مشروعة كالرشوة واختلاس اموال الدولة
واغتصاب حقوق الناس ، والاستئثار بالمنفعة ، وجعل الحق باطلاً والباطل
حقاً ، فلا يدل الا على ان فى البلاد فوضى اجتماعية واقتصادية وعمرانية
وانه لا عيش فيها ، إلا لارباب السلطة الحكومية .

ثم انه بما امتلكوه من المستغلات يمثلون دور الاقطاع ، إذ يملك
احدهم من الارض ما يكفي لمعيشة الجماعات ، فلو وزعت الارض توزيعاً
عادلاً على الناس كل منهم بحسب استطاعته فلو واقتداره على احيائها لعم

الرفاه ، وأدى ذلك الى انتعاش البلاد في العمران والاقتصاد ، على ان بعض هؤلاء قد اخرج من الارض اهلها الكثيرين المعدودين بالعشرات بل بالمئات الذين كانوا يعيشون بحرثها وزرعها من قديم الزمان فأنزعها منهم واستولى هو وحده عليها مستأثراً بها ، ولم يزل هؤلاء الذين أنزعوا منهم ارضهم يرفعون شكواهم الى الحكومة من دون ان تسمع لهم شكوى .

وهل من دلائل التقدم في الاقتصاد والعمران ان يعيش واحد في نعيم ورفاه ، والوف في ضنك وشقاء ؟ ...

نقول هنا على تقدير ان هذا الواحد يعيش في نعيم قد حصل على النعيم من طرق مشروعة ، فكيف اذا كان هذا النعيم حاصلًا له باغتصابه حقوق الالوف من الناس ، ولا تنس مما تقدم بيانه من الكلام حول قانون التسوية وما فعله رجال الانكليز الذين قاموا بتنفيذه .

الى المفكرين باستقلالهم

قالت العرب في كلامها استقل فلان بكذا أي انفرد به ، واستقل
الوالي بالولاية أي تفرد بها ، ولم يشاركه فيها غيره ، ومن هذا المعنى
اللغوي أخذ رجال السياسة معنى الاستقلال في اصطلاحهم . فصاروا
يطلقونه في السياسة والحكم على الحالة التي يكون فيها الشعب حراً
منفرداً في جميع اموره السياسية ، يحكم نفسه بنفسه لا يشاركه فيها
شعب آخر من الشعوب الاجنبية عنه ، ولا يسيطر او يهيمن عليه في
جميع شؤونه الا هو نفسه .

فاستقلال الشعب في بلاده كاستقلال المرء في داره ، فكما ان
المرء في داره يكون هو الذي يدير فيها جميع اموره ، ويرتب جميع
شؤونه لا يشاركه في ذلك ولا يسيطر عليه فيه احد من الناس غيره ،
كذلك الشعب في بلاده إذا كان مستقلاً ، سوى انا اذا قلنا في صاحب
الدار أو ساكنها انه لا يشاركه فيها غيره فأنما نعني بغيره الناس الذين
يسكنونه في بلده ، واذا قلنا في الشعب المستقل انه لا يشاركه في بلاده
غيره فأنما نعني بغيره الشعوب الاخرى من أهل البلاد المتاخمة لبلاده أو
البعيدة عنها ،

✓ فن هذا يتضح لك ان الاستقلال بمعناه الصحيح الذي ذكرناه لا يقبل
الشركة من الاجنبي بأى معنى كانت ، ولا السيطرة منه على أي وجه
وقعت ، والا كان الاستقلال لفظاً بلا معنى ، واحسن مثال نضربه لك
في ان الاستقلال لا يقبل الشركة هو ان طائرة من الطائرات الحربية

مثلاً لا يجوز لها في عرف الاستقلال الصحيح ان تمر مروراً مجرداً في جو بلاد مستقلة غير البلاد المنسوبة هي اليها إلا باجازة من حكومتها التي هي في عرف الاستقلال لها الخيار في اجازتها ان شاءت أجازتها ، وان شاءت منعتها .

واذا كان الاستقلال لا يتسع في معناه الصحيح لقبول طيارة تمر في جو مصر مروراً مجرداً ، فكيف يتسع لقبول بناء قواعد جوية حربية للطيران الاجنبي في بلاده ؟ .. كما في العراق .

وكيف يتسع استقلال مصر لوجود قواعدها بحرية لأساطيل اجنبية في مياه الاسكندرية ؟ ...

لا ريب ان صوان الاستقلال الذي يحفظه من الابتذال عند جميع الشعوب المستقلة هو الجيش المدرب المسلح بأسلحة البر والبحر والجو على اختلاف انواعها في هذا العصر ، فهذا الجيش هو الصوان الذي ما اعتده كل شعب من الشعوب المستقلة إلا ليصون استقلاله من الابتذال ، وتالله ان الاستقلال لغير جديور على أهله فهو لا يقبل ان تمسه يد اجنبية ولو بلطف وسلام .

ومعلوم ان الشعوب الحرة المستقلة يتجلى عليها استقلالها الدولي في شيئين رئيسيين احدهما حكوماتها والآخر جيوشها ، وان الحكومة عند جميع الشعوب تكون ذات فروع ثلاثة من قوتها ، الاول فرع القوة التنفيذية ، والثاني فرع القوة التشريعية ، والثالث فرع القوة القضائية ، ويكون الفرعان الاولان مرتبطين أحدهما بالآخر كل الارتباط حتى يجوز ان نقول بأن الفرع الاول هو وليد الفرع الثاني وخادمه

الذي يقوم بتنفيذ أوامره وامضاءها . واما الفرع الثالث اعني فرع القضاء فهو في كل العصور وعند جميع الشعوب يكون مستقلاً استقلالاً خاصاً في ضمن الاستقلال العام الذي يرفل منه الشعب في حلل الفخر والحبور .

فعلى هذا يكون القضاء صاحب استقلالين خاص وعام فلذا لا يكون مقاومه إلا في الدورة العليا من الاستقلال العام دائماً وابتداءً ، ذلك لأنه هو الغاية القصوى للفرعين الاولين فرع القوة التنفيذية وفرع القوة التشريعية ، إذ لولاه لما قام ملك ، ولا ثبت حق ، ولا تم أمن ، ولا طاب عيش ، ولا سعد شعب ، ولا انتظم للناس اجتماع . وإذا كان فرع القوة القضائية متشعباً باستقلالين كما قلنا فهو يأتي بقبول الشركة إثنين ، ويرفضها رفضين رفضاً باسم استقلاله الخاص ورفضاً باسم استقلاله العام فهو باستقلاله المثنى لا يقبل الشركة ولا السيطرة حتى من صاحبيه فرعي التنفيذ والتشريع .

ولكننا مع هذا كله نراه في العراق قابلاً للشركة قبولاً منسكراً ،

فكيف يكون العراق مستقلاً ومحاكمه الكبرى يرأسها رجال من

الأجانب البريطانيين فسبحان من جعل المر حلواً في العراق .

فإن قلت إن ما ذكرته من الامور المنافية للاستقلال شيء شائن في حد ذاته غير مألوف ولا مقبول في عرف الاحرار وعاداتهم ، نقوله طوعاً او كرهاً يشين قابله او يخرج به عن حدود الحرية والاستقلال ، إذ ليس هو إلا من قبيل ان يأتي رجل الى آخر فيريد منه ان يقف امامه موقف اسير ، بأن يضع في عنقه غلاً وفي رجله قيداً ويقول له ان موقفك امامي هكذا هو من مقتضى مصالحتك الذاتية ، فهل يكون ذلك

الرجل حراً غير أسير اذا قبل منه هذا التكليف عن رضى ؟ . كلا ! بل سواء عليه اقبل ذلك طوعاً أم قبله كرهاً لا يكون إلا اسيراً .

ثانياً : لا نسلم ان هذا الذي ينافى الاستقلال قد وقع في العراق عن رضى من الشعب العراقي رغم موافقة النواب عليه في المجلس النيابي .
لانا نعلم حق اليقين ان هذه المعاهدة قد أملتها القوة البريطانية املاء على الحكومة العراقية لكي تقوم مقام الانتداب الذي ضج الشعب العراقي بمقتته ، ولهج برفعه ودفعه ، فالغاية التي ترمي اليها بريطانيا في هذه المعاهدة هي أولاً تثبيت قدمها الاستعمارية في العراق ، وثانياً التمويه بها على العراقيين انهم سيستقلون ، وان هذا الانتداب بعد هذه المعاهدة سيزول باستقلالهم الذي يتم بادخالهم في عصبة الامم عقب وضعها موضع التنفيذ ، ولم تخجل بريطانيا من جعلها دخولهم في عصبة الامم من مقومات استقلالهم ، وهي تعلم والناس كلهم يعلمون أن حكومات الهند كلها داخلة في عصبة الامم ، وهي مع ذلك في الدرك الاسفل من جهنم أمر الانكليز ، وايضاً ان الحكومة العراقية قد اتخذت جميع ما عندها من الوسائل ومهدت جميع ما لديها من الطرق اللازمة لتصديق هذه المعاهدة في المجلس النيابي كالتدابير التي استعملتها في اجراء الانتخاب ، وفي انتقاء النواب وترشيحهم للنياحة ، وكالدعاية الاقناعية التي اعلمتها فيهم الى غير ذلك من الامور التي لا يحجبها احد ، فلا انتخاب لم يكن حراً ، والنواب لم يكونوا كفاة ، والكفاة منهم لم يكونوا احراراً ، وكلنا نعلم ان الانتخاب اذا جرى في درجتين كما هو العراق ، كان التلاعب في مناحيه سهلاً ، وكان توجيه مجراه الى الجهة التي تريدها الحكومة يسيراً غير عسير .

وايضاً ان المجلس النيابي في العراق لم يكن مؤلفاً من احزاب سياسية مختلفة في مبادئها ، متعارضة في سياستها كما هو شأن المجالس النيابية عند الشعوب الحرة ، ~~كما~~ انما كان المجلس النيابي العراقي ولم يزل مؤلفاً من حزب واحد هو حزب الحكومة لا غير . فبدأه مبدأ الحكومة وسياسته سياستها ، وبالجملة هو في كل ما تعرضه عليه الحكومة رهن اشارتها ، فان اشارت عليه بالقبول قبل أو بالرفض رفض وخلاصة القول انه يمثل الشعب تمثيلاً صحيحاً .

وايضاً ان الذي يدلنا على ان موافقة المجلس على هذه المعاهدة لم تكن إلا نتيجة مساعي الحكومة وتدبيرها الخاصة في تأليف المجلس وتهيئته للعواقب هو ما وجدته الحكومة في ذلك المجلس من المعارضة المصطنعة على يد الزعيم الهاشمي ، وايضاح ذلك ان وزارة نوري السعيد التي جرى في عهدها تصديق المعاهدة العراقية البريطانية لم تر من المناسب ولا من اللائق ان تخرج هذه المعاهدة مصدقة من المجلس النيابي من دون معارضة ولو ضئيلة فعمدت الى الهاشمي وأوحت اليه ان يقوم بهذا الأمر مع بضعة نواب من اصحابه فانتقى له من النواب من انتقى ، وتواضعوا على ان يعارضوا المعاهدة ، ويصوتوا برفضها ، وكذلك فعلوا ، فهذه المعارضة كانت مصطنعة مفتعلة من قبل الحكومة نفسها ، ولم يصوت برفض المعاهدة نائب خارج عن هذه المواضعه غيرى انا ، فأنا وحدي رفضتها من دون ان يواضعني على رفضها احد . فمن هذا يتضح لك ان كل ما جرى في المجلس النيابي في شأن المعاهدة لم يكن إلا بتدبير وتمهيد من الحكومة ، فدعوى ان ما وقع في العراق من

الامور المنافية لاستقلاله قد وقع برضى من الشعب العراقي غير صحيح.
 ثالثاً: ان كل معاهدة تقع بين دولتين يجب ان تقوم على اساس
 تبادل المنفعة وإلا لم تكن صادقة ، وعليه فلا بد للدولتين المتعاهدين
 من التكافؤ فى القوة ولو نسبياً ، إذ ليس فى الدنيا محكمة ترجع اليها
 الدولتان المتعاهدتان اذا نقضت احدهما العهد اذا خلت به ، وانما المرجع
 فى ذلك الى القوة لا غير ، واما الاعتماد فى الوفاء بالعهد على شرف
 المعاهد فخرقة وبلاهة ، لأن الغدر فى السياسة مباح ، من حيث ان
 القاعدة المتبعة عند ساسة الدنيا فى جميع العصور هي ان الغاية تبرر
 الوسيلة فالقوة وحدها هي التي تفصل الخصومات بين الدول ، هذا اذا
 كانت المعاهدة بين دولة واخرى مثلاً ، اما اذا كانت بين دولة قوية
 واخرى ضعيفة ، ولا شيء كالعهود التي قطعت بها بريطانيا للملك حسين
 ترغيباً له في الخروج على الدولة العثمانية .

واذا كان التكافؤ فى القوة بين المتعاهدين لازماً ضرورياً لصدق
 المعاهدة والوفاء بالعهد كانت قيمة كل معاهدة مادية لقوة عاقدها بلا
 ريب ، وبعبارة اخرى كان احترام كل من الجانبين لتعهد صاحبه
 لا يكون الا بمقدار قوة الجانب الآخر ، وبهذا نعلم انه لا قيمة لمعاهدة
 تقع بين ضعيف وقوي خصوصاً اذا كان القوي قد أملىء معاهدته على
 الضعيف إملاءً ، وخصوصاً اذا كان ذلك القوي قد عاهد حكومة هو
 اقامها او هو الذى الجأته الظروف الى الاعتراف بها ، فهل من المستغرب
 بعد هذا كله ان يعملي عليها كل ما تقتضيه مصلحته السياسية
 والاستعمارية ؟ ! ويطلب منها الموافقة عليه باسم معاهدة .

ان المعاهدة التي تقع بين ضعيف وقوي كالمعاهدة العراقية البريطانية لا يجوز في عرف السياسة ان تسمى معاهدة إلا على طريق التمويه والمخادعة والمواربة بالكلمات والالفاظ ، وانما هي ظلم وارهاق ، وكل من قبل الظلم والارهاق لا يكون حراً ، ومن لم يكن حراً كان بعيداً عن الاستقلال بعد الثريا عن الثرى . وبهذه المناسبة اذكر لك بيتين من ابيات قلتها عند تصديق المجلس العراقي معاهدته المعلومه :

والعهد بين الانكليز وبيننا كالعهد بين الشاة والربال
من ذا رأى ذئب الذئاب معاهداً بصداقة حملاً من الاحمال



المرحوم الرصافي في بدء جهاده العلمي

التقوية والخداع صبغة السياسة البريطانية

كل ما ذكرناه عن سياسة الانكياز الاستعمارية . يدل بوضوح على ان مجد امبراطوريتهم الاستعماري مصبوغ من اوله الى آخره بصبغة الخداع والتخويه ، فهذه الصبغة هي السمة التي تعرف بها سياستها الاستعمارية ، والميزة التي تمتاز بها على غيرها ، كما انها هي الاساس الذي قام عليه مجد امبراطوريتهم ، واما قوتهم المادية المتناسبة في العظم مع هذا المجد العظيم فانها فرع من فروع ، وثمره من ثماره ، وبهذا تخالف بريطانيا غيرها من الدول ، وبه تشذ وحدها عن الامم ، إذ لا ريب ان كل دولة من الدول لا يقوم بناء مجدها إلا على اساس قوتها المادية ، فلا يكون فرعها الا فرعاً من فروع قوتها المادية ، وثمره من ثمارها بخلاف بريطانيا فانها في ذلك على العكس .

ان بريطانيا لم تستول على هذه المستعمرات المترامية الاطراف بجيوشها الجرارة ، ولا بحروبها الطاحنة ، بل بطرق خداعية تكون في بدء امرها إما تجارتها ، واما اظهار عطفها على البشرية ، وقيامها باسم الانسانية لتحرير الرقيق ومنع ارق أو نحو ذلك ، كانتصارها للاقليات المضطهدة ، وقيامها لحماية دول ضعيفة من اعتداء دولة قوية . الى غير ذلك من إثارة الفتن ، ودس الدسائس ، وتدمير المكائد ، ومد الاحويل الى البلاد التي تتجه اليها مطامعها الاستعمارية .

وفيما مر ذكره في هذه الرسالة كفاية لاثبات صحة ما نقول ، ولكننا مع ذلك نريد ان نذكر ههنا ما يكون لك ايها القارئ الكريم برهاناً .

قاطعاً على صدق ما ندعيه ، الا وهو توسع بريطانيا في أساليب التجسس توسعاً لم تسبقه اليه دولة في هذا العصر وفي جميع العصور الماضية .

دائرة التجسس البريطاني

لكاتب اللبناني الشهير الاستاذ يوسف يزبك كتاب صغير الحجم ، جليل القدر سماه « النفط مستعبد الشعوب » يجب وجوباً عاماً على كل شرقي ، وخاصاً على كل عربي ، وأخص على كل عراقي ان يتقرب الى الله بمطالعة كل يوم .

وقد تكلم الكاتب المفضل في كتابه هذا تحت عنوان « سيدة العالم » عن دائرة التجسس البريطاني ، ونحن نلخص لك بعض ما قال في الكتاب المذكور .

قال ما حاصله : ان في شارع « دوتنغ ستريت » من لندن عاصمة الانكليز بناية عظيمة جداً هي مقر سيادة العالم ، أو دائرة التجسس البريطاني ، يبلغ عدد موظفيها ثلثمائة الف عامل في انحاء العالم ، وقد ذكرت جريدة التيمس ان هذه الدائرة تسحب من موازنة الحكومة الانكليزية اكثر من ثلاثة مليارات فرنك سنوياً .

وان هذه الدائرة مستقلة كل الاستقلال عن الحكومة الانكليزية وانها تملك اسهماً في مشاريع رأسمالية دولية ضخمة ، وتسيطر على مصارف ومصانع ومزارع وشركات عظيمة في سائر انحاء المعمورة ،

وتملك في المستعمرات الانكليزية اراضي شاسعة ويقال ان نصف المستعمرات هو ملكها الخاص ، فليس من العجب ان نراها تدير سياسة الامبراطورية وتضع خطط حكوماتها ومناهجها . وان تكون صاحبة القول الفصل في أي اصطدام يقع بين سياستها وسياسة إحدى الدوائر الوزارية .

وان الموظفين في هذه الدائرة تجهلهم الحكومة الانكليزية ولا تعرفهم . بل هم انفسهم أيضاً لا يعرف أحدهم الآخر ، وقد يكون لهذه الدائرة موظف في بيروت مثلاً فيقضي عشر سنوات فيها والقنصلية الانكليزية لا تعرفه ولا علم لها به ، وهو لا يقترب منها إلا عند مسيس الحاجة الرسمية اليها كالتأشير على جواز سفر أو تسجيل عقد أو غير ذلك ، وربما تعتقد القنصلية عند مراجعتها اليها انه سائح ، او عالم من علماء الآثار ، أو مهندس شركة ميكانيكية ، او تاجر سيارات ، او ممثل مصنع جوخ ، او راهب من رهابين البعثات التبشيرية ، وما هو في الواقع إلا موظف من الموظفين في دائرة التجسس البريطاني .

وان ارادتها هي الفعالة في توجيه مرامي السياسة البريطانية الى حيث تشاء ، وان الحكومة الانكليزية لا تبرم امراً ولا تنقضه إلا بإشارة منها بعد موافقتها ، ولا ريب ان لازدهار جزيرة انكلترة ونموها علاقة محكمة الارتباط بهذه الدائرة . فصارت انكلترة وهي الجزيرة الصغيرة أعظم دولة في العالم بمساعي هذه الدائرة واعمالها ، واصبحت هي أيضاً أعظم مؤسسة في العالم بفضل ما وصلت اليه انكلترة من سمو الشأن والسلطان ، وقد عرفت الدول كلها أهمية التجسس فاعتنت به وارصدت

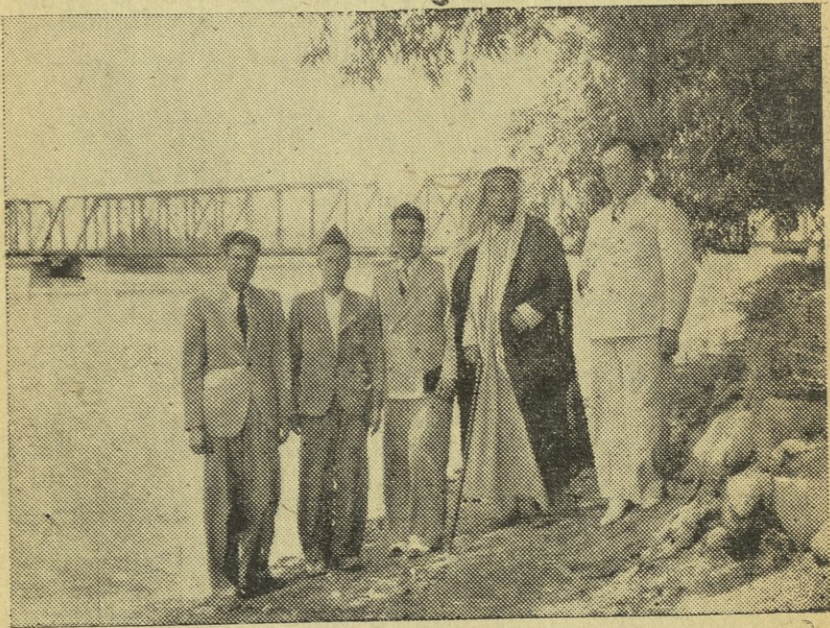
له الاموال الطائلة ، ولسكنها قصرت جميعها عن استظهار صفحة واحدة من صفحات مجلد ضخمة لدائرة التجسس البريطاني ، وقد ذكر الاستاذ يوسف يزبك كثيراً من اعمالهم الغريبة ، ومكائدهم العجيبة ، قال ومما يروى عنهم في مصر انهم كانت لهم يد في انشاء الجمعيات السرية التي كانت تقوم بأعمال فوضوية بين وقت وآخر فتقتل بعض الاشخاص البارزين لخلق الازمات السياسية ، وترمي القنابل على القصور لاستغلال الرأي العام بحوادث الارهاب عندما تكون سياستهم بحاجة الى ذلك . قال ولم يقتل حاكم السودان السرداري ستاك سنة ١٩٢٤ إلا عصابة من عصاباتهم السرية التي يمدونها بالمال حتى انتج قتله ذلك الانذار البريطاني القاسي الذي رفضه رئيس الحكومة الوطنية سعد زغلول فاستقال وتعطلت الحياة النيابية في مصر .

وقال ولهم في العراق وايران والافغان والحجاز حوادث تاريخية لم يكشف القناع عنها كلها حتى اليوم ، ولكن الثابت منها يؤكد انهم غير بعيدين عن سلوك الشاه احمد قاجار ، وغير بريئين من خلع أمان الله ملك الافغان ولا من تنازل الملك حسين عن عرش الحجاز ،

ونحن لو اردنا ان نستقصي تفاصيل هذه الحوادث بعلاها واسبابها لكتبنا في ذلك مجلداً ضخماً وليس ذلك مما يسعنا الآن ، ولنذكر لك بعد هذا آخر فقرة كتبها الاستاذ يوسف يزبك في هذا الفصل من كتابه .

قال ومما قيل في هذه الدائرة الجبارة ، ونسب الى موظفيها من اعمال خارجة على القوانين ، ومبادئ الحق والعدل فانها تستطيع الزعم بأنها

دعامة متينة في انشاء الامبراطورية البريطانية التي لا تغرب الشمس عن
املاكها ، وقد علمتنا الحوادث والتجارب ان دول الغرب كلها واحدة في
الاستعمار ، وان اختلفت الاساليب ، واذا رأينا بعض كتاب الغرب
ينددون بأعمال دائرة التجسس البريطاني فليس ذلك الا من حسدهم . ولو
انهم استطاعوا ان يأتوا بأعمال هذه الدائرة حتى في الجرائم التي
يذهبونها اليها لما قصروا في الاتيان بمثلا .



المرحوم الرصافي ويرى عن يمينه الاستاذ سعيد البدرى جامع هذا
الكتاب وعن يساره بعض زواره في القلوجة سنة ٩٤٠

الطفل الهرم ^{الدولة العثمانية} ^{والجمهورية}

... قد ولد مولود يسمى ... ، وبالنظر الى اعمار الدول لم يزل هذا المولود طفلاً في المهد ، أو هو بلا مهد ، وإنما هو في قاط شديد يسمى ^{الهرم} فاذا لم يقيض الله له مربية طيبة ، غير ظناء ، ورزاناً غير ولاء ، تعرف كيف ترخي من قاطه ، وكيف تحضنه وتغذيه ، وكيف تحفظه من طرود الامراض ، وطروق الآفات لم تسكن نشأته حميدة ، ولا خيره مأمولاً ، كما انها لا ترجى له حياة سعيدة ، ولا عمر طويل ، خصوصاً في هذا العصر الذي اكتشفت فيه الطرق العلمية الى حفظ صحة الاطفال ، والبنات والسكرهول والشيوخ .

اما حالة هذا المولود الذي هو اليوم يناهز العشرين من عمره ، فغريبة لا تقل غرابة عن ميلاده .

ومما يتقيأه القلم على القرطاس بمرارة علقمية ، اننا نرى اعراض الشيخوخة والهرم بكل ما يتصور فيها من آلام واسقام ، بادية في هذا المولود فهو بحالته هذه يمثل للناس حالة الدولة العثمانية التي كان يعبر عنها ساسة الغرب بالمرريض المحتضر .

لقد ادركنا كلنا الدولة العثمانية في عهدها الاخير ، وقد رأينا بأعيننا ما كان فيها من اعراض الهرم وامراضه ، إذ كان لها سلطان ظالم مستبد وهو عبد الحميد الذي كان يرى الرعية كلهم يعيشون لأجله ، والذي كانت له خزينة خاصة تفوق خزينة الدولة العامة ، والذي كان جديراً بأن يعد اكبر ملاك في الامبراطورية العثمانية بما امتلكه من القطاعات والاملاك .

وكان رجال دولته من الوزراء وغيرهم مثله ايضاً لا تهمهم إلا أنفسهم ، وكان احدهم لا يطلب المنصب الا ليتوصل به الى منفعة الخاصة دون المنفعة العامة .

وكانت الرشوة فاشية ، فكان الصعلوك اذا تسنم منصباً فلا تمر عليه ايام إلا وقد اصبح من اهل الثراء ، وكانت الامور لا توسد الى اهلها ، فلا الكفاية ، ولا المقدرة ، ولا الاستقامة ، ولا الصدق ، والامانة ، كل ذلك لا عبرة له في توسيدها وانما توسد بأحد عوامل ثلاثة ، المنسوية ، والمحسوية والرشوة ، وهناك عامل رابع وهو ارضاء طائفة من الطوائف ، وما اكثرها في الدولة العثمانية ، فقلان المسيحي لم يكن وزيراً في ذلك العهد إلا ارضاء لطائفة ، وقلان الكردي لم يكن مشيراً إلا ارضاء لطائفة من الاكراد .

وكانت قوانين الدولة وانظمتها في ذلك العهد غير نافذة الاحكام إلا على الضعفاء ، كما انها كانت آلة بيد رجال الدولة بهلـكون بها من عاداتهم وينعشون من والاهم ، وكانت هذه الحالة المحزنة سبباً كبيراً من اسباب فساد الاخلاق العامة ، فكان الزلف في اهل المناصب من رجال الدولة بالتملق ، واظهار العبودية لهم عادة مستحسنة ، وخلقاً مرضياً عند عامة الناس ، وكان التجسس لهم من دلائل الصدق في المودة ، وكانت السعاية والنميمة من فواشي الامور بين الناس ، الى غير ذلك من المفاصل التي كانت بها الدولة تسير آخر شوط من حياتها .

في هذا عدا ما كان من الضغط على حرية الافكار ، وحرية الصحافة والنشر وحرية الاجتماع ، فالافواه مكبوتة ، والصحف مسيرة مأجورة ،

والحرية الشخصية منتهكة ، والبيوت غير مصنونة .

ولما ادرك خطر هذه الحالة وفضاعتها طبقة من احرار البلاد ، وكان اكثرهم من أمراء الجيش وضباطه ألفوا جمعيتهم المعلومه وهي « جمعية الاتحاد والترقي »

✓ واخذوا يعملون تحت استار الخفاء ، حتى قاموا قومتهم المعلومه ، فأعلنوا الدستور ، ثم قضوا على عبد الحميد واتباعه ، وقد انظم اليهم ناس بدء عامه الناس في جميع البلاد إلا النزر اليسير ، وكان اكثر الذين انظموا اليهم من أولئك الناس الذين عاشوا زمناً طويلاً في تلك الحالة المحزنة التي دب منها الفساد في الاخلاق العامة ، فلم يسكن انضمامهم الى الجمعية إلا بداع من دواعي المنفعة الخاصة .

* * *

✓ ومن هنا دب الفساد في الجمعية نفسها ايضاً ، واختلط فيها الطالح بالصالح ، والخبيث بالطيب ، وكان هذا اول خطأ وقعت فيه الجمعية ، ذلك الخطأ الذي ادركتها به الشيخوخة وهي في عهد طفوليته ، لذلك لم تعيش ولا الدولة العثمانية إلا مدة يسيرة من الزمن

✓ فيفهم من هذا ان اعلان الدستور لم يكن إلا من قبيل صحوة الميت في الدولة العثمانية نعم ! كان اعلان الدستور من قبيل صحوة الموت للمريض المحتضر ، لأن الحالة السابقة التي كانت في عهد عبد الحميد لم تتبدل الا بالاسم . فالعوامل التي مر ذكرها والتي كانت توسد بها الامور الى غير اهلها لم تزل باقية كما كانت في السابق ، حتى لقد زادت عاملاً آخر وهو عامل التحزب الاعمى للجمعية فانتساب المرء الى الجمعية

الاتحادية كان وحده كافياً لتسليم أعلى المناصب ونيل أكبر الوظائف في الدولة فكيف تظهر للدستور نتيجة حشنة ، وقد علمنا ان أكثر الذين انظموا الى هذه الجمعية انما هم من ارباب المطامع الخاصة ، والاخلاق الفاسدة .

ولذا كانت النتيجة بعد اعلان الدستور بقاء الحالة السابقة واستمرار تلك العوامل في فعلها السابق من توسيد الامور في الاكثر الى غير اهلها ، لا سيما العامل الجديد عامل التحزب الاعمى للجمعية .

وكانت حرية الفكر مهانة ، والضغط بالغاً مبلغه على حرية الصحافة والاجتماع وعلى حرية تأليف الاحزاب السياسية ، التي لا تقوم الحكومة الدستورية إلا بها ، حتى قضوا على كل حزب سياسي عدا حزبهم ، فكان مجلس النواب مؤلفاً من حزب واحد هو حزب الاتحاد والترقي ، وكان انتخاب النواب اسمياً وكانت القوانين تسن في بعض الاحيان لامور خاصة ، او لاشخاص معينين ، يراد بهم الخير او الشر الى غير ذلك من المفاسد التي كانت في عهد عبد الحميد .

ولم يمض على حياة الجمعية الاتحادية زمان طوي ، حتى حصل لها اعداء الداء في جميع البلاد ، وليس في ذلك ما يدعو الى التعجب أو الاستغراب ، لأن الذي ينظم الى الجمعية لأجل منفعة خاصة كيف لا يتقلب عدواً لها بالحق أو بالباطل اذا فاتته تلك المنفعة . ولذا كانت الجمعية تهم بكافة اعدائها وخصومها أكثر من ان تلتفت الى شيء آخر مما تحتاج اليه البلاد ، حتى جاءت الحرب العامة فقضت على الدولة العثمانية وعلى الجمعية معاً ، لأن الدولة كانت بما فيها من الاوصاب كالمريض المحتضر فأقل حادث يفزعه أو يزججه يقضي عليه .

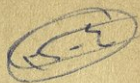
طفلتنا المولود

ايها القارئ الكريم اغسل صدرك سبع مرات بصابون الاخلاص
والانصاف ، حتى لا يبق فيه أثر من حقد ، أو حسد . او طمع ، أو
غش ، أو اثرة وانانية ، ثم قف عند هذا الطفل وقمة طبيب حاذق ، قد
أقسم بالمحرجات ان يكون خادماً للانسانية ، ثم انظر اليه ، وامعن نظرك
فيه ، وجسه من جميع نواحيه ، وقلبه كما يقبل الطبيب مريضه ، فانك
اذا فعلت ذلك ستقوم عنه متجيراً ، وترجع القهقري مدهوشاً ، وتقول
بصوت مرتجف أطفل في المهد أم شيخ هرم ؟! وما ذلك إلا لانك ترى
كل ما كان في الدولة البائدة وهي في عهد شيخوختها وهرمها من
الامراض موجوداً بعينه ومينه في هذا الطفل ، وهو في مهده . واذا
أردت ان تعرف ما فيه من الامراض والاعراض فأعد نظرك فيما ذكرنا
من أمراض الدولة البائدة فذاك هو الذي تراه فيه ، على وجه اشنع
وافظع مما كان في تلك .

* * *

واذا جاز ان نشبه دوائر الحكومة بالحديقة ، جاز ان نشبه بالازهار
من فيها من الموظفين السكفة من أرباب الاستقامة والمقدرة ، وعندئذ
تقول :

انك اذا اطلعت على هذه الحديقة ... رأيتها مملوءة بالاشواك الي
بينها شيء يسير من الازهار ،



الأمر من غرس يد الانكليز في ايام الاحتلال ، ولما كان فساد الاخلاق متفشياً فيها ايضاً بالوراثة من الدولة البائدة ، وكانت المصلحة الاحتلالية تقضي غرس هذه الحديقة على أي وجه كان ، غرسها قادة الجيش المحتل ، ولم يراعوا في غرسها إلا مصلحتهم فانتقوا ازهاراً هي بالنسبة الى مصلحة البلاد لم تكن إلا اشواكاً ، فهذه الاشواك التي نراها اليوم في الحديقة كانت في بدء غرسها ازهاراً انكليزية ثم جاءت الثورة ، فألفوا بعدها حكومة ، ووسعوا هذه الحديقة ذات الازهار الانكليزية فأقبلت ازهارها الانكليزية اشواكاً وهم لم يفرسوا فيها بعد توسعها إلا ما ارادوه ورضوا عنه ، مما يوافق مصلحتهم الاستعمارية ، لأن مصلحتهم الاحتلالية قد استحال بعد الثورة إلى مصلحة استعمارية ، وان كان الاحتلال باقياً الى يومنا بشكل قواعد جوية .

* * *

يقال اذا عرف السبب بطل العجب ، واذا قد عرفت ايها القارئ الكريم كيف غرست حديقتنا هذه ، وأي يد غرستها في بدء أمرها ، واي مصلحة روعيت في غرسها ، وكيف انتقيت لها ازهارها المغروسة لم تتعجب اذا رأيت فيها انواع الاشجار الشائكة أو اجناسها ، فمن عضة قائمة تحت ظل عفاة ومن عوسجة الى جنب غرقدة ، ومن كسوبة وراء عرقة ، ومن عرفطة أمام قتادة ، ومن سحابة بين عاقولة وهراسة ، ومن عفاة تهتز بين حلفاء .

ومعلوم ان شجر الورد على اختلاف انواعه شائك فلا غرابة في ان يصحب الورد شوك ، ولكن الغرابة هي كما في هذه الحديقة

ACS

٢٢

20

٢٢

٧٨

٢٢

٢٢

أن ترى شوكة بلا ورد .

ومن العجب ان وخز هذه الاشواك خفي لا يمكن اثباته .

* * *

جاءت احدى الوزارات فسنت قانون « انضباط الموظفين » وكان الاولى ان يسمى بقانون صيانة الاشواك في الحديقة ... لأن هذا القانون جاء كأنه سياج حول تلك الحديقة فلا يستطيع أمير ولا وزير ان ينال شيئاً من اشواكها بخضد او اجتثاث ، فان الموظف بمقتضى هذا القانون اذا ارتكب في وظيفته جريمة أحيل امره الى لجنة تؤلف لهذا الغرض ، وعندئذ تبقى القضية منحصرة بين الموظف المجرم وبين رجال اللجنة أو احد رجالها ، ويمتد الزمن ويطول الامد فيتسع المجال للموظف المجرم في اتخاذ الوسائل المشروعة وغير المشروعة لنجاته وبرائته ، وفي النهاية لم يرعنا إلا ان نرى ذلك الموظف قد عاد الى وظيفته بكل سرور وحبور رغم كون جريمته ملبوسة محسوسة ، آثارها ظاهرة ، واخبارها متواترة ، وفي اليوم الذى نشر فيه هذا القانون المذكور الى يومنا هذا لم نر لجنة انضباطية عاقبت موظفاً مجرمًا ، بل كل من حوكم فيها خرج اما بريئاً وأما موبخاً بتوبيخ لو الي على عفيف لاحتماله فكيف اذا الني على لص أو لعيف .

* * *

ثم قامت وزارة اخرى فرأت لاغراض شخصية خاصة أن تقلع من هذه الحديقة بعض اشواكها ، او ان تخرط شيئاً من شوكة قتادها ، ولكن قانون انضباط الموظفين يحول بينها وبين ما تريد ، فصعب ذلك

عليها ، وهل شيء اصعب من خراط القتاد ، ثم هونت تلك الصعوبة بأن جاءت الى المجلس النيابي بلائحة قانونية جعلتها ذيلاً لقانون انضباط الموظفين ، وقد ضمنت تلك اللائحة ما يبيح لها قلع الاشواك وخرطها فقلعت وخرطت وخضدت واجتثت كما شاء لها الهوى لا كما تقتضيها المصلحة العامة .

ثم جاءت وزارة اخرى فرأت من اغراضها الخاصة أن تعيد تلك الاشواك المجتثة الى منابتها فاعادتها ولكن لا مرة واحدة بل بالتدريج في ايام عديدة . ولا حاجة ان نذكر لك الطرق التي سلكتها في اعادة تلك الاشواك الى منابتها فانها واضحة معلومة .

ثم ذهبت تلك الوزارة وجاءت وزارة اخرى ، فرأت من اغراضها الخاصة ان تقوم بشيء من الاجتثاث ايضاً فهان عليها بما تعلمته من سابقته فجاءت بقانون جعلته ذيلاً لقانون الخدمة المدنية . لا لقانون انضباط الموظفين ، اذ لم تستحسن ان يكون لقانون واحد ذيلان ، واباحت لها في هذا الذيل ما ايسح لها في الذيل الاول ، فقلعت وخرطت وخضدت واجتثت كما شاء لها الهوى .

ولا حاجة ان نطيل عليك فنقول : ثم قامت وزارة اخرى فنقضت ما ابرمته تلك ، ثم اخرى فهدمت ما بنته هذه ، فان طرق التذيل بعيدة امدى ليس لها نهاية ، ولا نظن ان الاشواك المجتثة كلها اعيدت الى منابتها ، بل انما اعيد من تيسر له ان يعاد .

* * *

ومن كثرة الذبول التي تذيل الحكومة قوانينها نشأت في العامية

الدارجة لغة تداولتها اللسان العامة والخاصة ... اذ صاروا يستعملون التذييل في كلامهم بمعنى الاخراج من الوظيفة ، فيقولون فلان مذيل أي مخرج من الوظيفة ، وفلان ذيلوه ، وهذا كان من المذيلين في الوزارة السابقة وهو من الموظفين في الوزارة القائمة ، وتذيل فلان اذ اخرج من الوظيفة بالتذيل الى غير ذلك من كلامهم .

* * *

وقد ارادت الحكومة مرة عزل رئيس من رؤساء البلديات ، ففتشت عن وسيلة قانونية تتخذها لعزله فأعيتها ، وكان رئيس الوزارة إذ ذاك يريد هذا العزل على أي وجه كان لمأرب شخصي ، وحاجة في نفسه ، فوضع نظاماً جديداً للبلديات يجيز نقل رؤساء البلديات وتحويلهم من بلدة الى أخرى ، فصادق على هذا النظام مجلس الوزراء . وكان الغرض منه دفع ذلك الرئيس لا غير ، لانه يعلم ان هذا الرئيس لا يقبل النقلة ، وانه يستقيل اذا نقل الى بلدة اخرى ، وكذلك وقع اذ استقال الرئيس وتم الامر كله وبقي ذلك غير معمول به الى هذا اليوم .

* * *

ولعمري ان ما ذكرناه لك على سبيل المثال لواحد من مئات . فسبحان من جعل ... وهو في هذه الحالة المنكرة يحيش بالزعماء كما يقولون .

الوحدة الاسلامية

« ... ان الوحدة الاسلامية هي الغاية القصوى ، والمثل الاعلى في دين الاسلام ، وهي روح الاسلام وجوهره ، فاذا تجرد الاسلام منها كان قشراً بلا لب ، وجسماً بلا روح ، والذي يمثل لنا هذه الوحدة من القرآن قوله تعالى : « انما المؤمنون إخوة » ومن الاحاديث النبوية قول رسول (ص) « المسلمون يد على من سواهم تتسكفأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

نعم ! ان العرب المسلمين ارتدوا عن هذه الوحدة ، وقد ظهر دخان ارتدادهم في فتنة قتل عثمان (رض) ، ثم اندلع لهيبه في خلافة (ع) ولم يقبض الله تعالى لائحاد هذا الارتداد عزماً كعزم أبي بكر ، ولا كسيف خالد بن الوليد ، فبقى اواره يشتد ، ولهيبه يتسع ويمتد كلما مرت السنون ، وتوالت العصور ، حتى تفرق المسلمون شيعاً ، وحتى كثرت الفرق الاسلامية وتعددت النحل المذهبية . وتفاقت البدع المنكرة ، ودخل بين هذه المذاهب شيطان السياسة ، فألقى على نيرانهم من الحطب الجزل ما زادها اشتعلاً ، حتى صار يكفر بعضهم بعضاً ، ويتعصب كل منهم لبدعة ضد غيرها من البدع ، وهكذا الى يومنا هذا ، فسبحان من كرز الائم بعد انهاضها ومسفلها بعد اعلائها .

ما شيعه وما سنة

فان قلت ما شيعه وما سنة في الاسلام ، قلت الظاهر ان كلمة شيعه في الاصل مصدر مبني للنوع ، من قولهم شاع فلاناً شيعاً وشياعاً اذا تبعه ، ولما كان عبد الله ومالك بن الاشتر واضرابهما من اتباع عليّ وانصاره صاروا بعد ذلك يقال لهم الشيعة على حذف المضاف أي أهل الشيعة ، ويقال للواحد منهم شيعي نسبة الى شيعته ، ويقال هؤلاء شيعة فلان أي اتباعه وانصاره . ثم غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً واهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً بهم .

واما سنة فهي في اللغة بمعنى السيرة والطريقة ، ثم اصطلح علماء الدين من المسلمين على اطلاقها على كل ما هو مأثور عن النبي (ص) من فعل أو قول ، وصار المتمسكون بذلك بأهل السنة والواحد منهم سنيّ نسبة الى سنة .

وكلتاها اعني الشيعة والسنة بمعناها المتعارف اليوم في كلام العامة من البدع ... في الاسلام ، لان الاسلام كما قلنا آنفاً هو دين الوحدة فلا يجوز لاهله ان يفترقوا الى فرق متعددة ولو بالاسم ، ومتى افترقوا لم يبق عندهم من الاسلام إلا اسمه ، وكيف يفترقون وهم يد واحدة على من سواهم ، وكلهم متساوون في الحقوق ، بحيث تتكافأ دماؤهم ، ويسمى بدمتهم ادناهم .

هذا هو الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله ، فكل ما خالفه وناقضه بدعة وضلالة .

وهل يشك أو يستريب احد في ان افتراق المسلمين الى فرق مختلفة
كشيعة وسنة مخالف للاسلام الذي هو دين الوحدة ؟ ...

فالمسلم الصحيح يجب ان يكون وان يتسمى مسلماً لا غير ، فلا هو
شييعي ، ولا هو سني كما كان اصحاب رسول الله مسلمين لا غير

لا كذلك يجب على المسلم ان يكون حراً في حياته ، وحرراً في تفكيره
أيضاً ، ومعنى كونه حراً في حياته أن لا يقبل حكماً الاسلام ولا يخضع
لسلطان الاسلام الله ، وحكم الله وسلطانه لا يتجلبان له إلا في الشرع
الذي انزله الله على نبيه محمد ، وفي القانون الذي اجمع عليه المسلمون ، لان
اجماع المسلمين منبعث من وحدتهم فهو يحمل روح الاسلام الذي هو
دين الوحدة ، فلذا يكون حكمه وسلطانه حكم الله وسلطانه ، فعلى
المسلم ان لا يقبل حكماً الا لله ، وان لا يخضع إلا لسلطان الله ، واذا كان
كذلك كان بلا ريب حراً في حياته .

واما معنى كونه حراً في تفكيره ، فهو انه لا يكون تبعاً لغيره في
معرفة اموره الدينية ، المتعلقة بحياته اليومية وحياته البيتية ، أي لا يجوز
له ان يكون مقلداً لغيره ، بل عليه ان يكون حراً مطلق التفكير في جميع
نصوص الشرع وادلتها ، بحسب اقتداره واجتهاده على شرط ان لا يخرج
به اجتهاده عن الوحدة الاسلامية التي لا يتقيد تفكيره بشيء غيرها والتي
لا يدين الله الا بها .

هذا في النصوص الشرعية التي هي عبارة عن كتاب الله وسنة نبيه ،
أما في غيرها من الامور التي حدثت في تاريخ الاسلام كخلافه فلان ،
وولاية فلان ، وما اشبه ذلك ، فهو حراً فيها حرية طبيعية قبل الاسلام

وبعده ، فكل مسلم له ان يفكر حراً في كل مسألة من المسائل التي حدثت في تاريخ الاسلام ، وان يبدى فيها رأيه الخاص الذي أداه اليه تفكيره واجتهاده على أي وجه كان ، وليس في ذلك علاقة بالدين ، ولا فيه غضاظة على أحد من المسلمين .

ولكن المسلمين بما استولى عليهم من الجمود في الفكر والجمود في الطبع ، لم يكتفوا من تفرقهم بشيعة وسنة ، وشيعي وسني بل اصبحوا مقلدين حتى في مسائل الوضوء والاستنجاء ، فهذا جعفري وهذا حنفي وذاك شافعي والآخر مالكي أو حنبلي الى غير ذلك من المذاهب والتي اصبح كل واحد من اهلها يزدرى الآخر ويقول بتخطئته ويعاديه ، فضاعت بذلك وحدة الاسلام التي جاء بها محمد بن عبد الله ...

اهداء الهدى

✓ من شعائر الحج في الجاهلية والاسلام اهداء الهدى ، وهو ما يهدى الى الحرم من الانعام ، التي هي الأبل والبقر والضأن والمعز ، إلا انهم كانوا يهدون البدن لأنها اعز شيء لديهم ، أو لانها ميسورة لهم أكثر من غيرها من النعم ، والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الأبل خاصة ، إلا أن رسول الله (ص) ألحق بها البقر فجعلها في حكم الأبل ، وسبعة من الضأن أو المعز تعدل بدنة أو بقرة ، فكانوا اذا حجوا يسوقون معهم الهدى الى الحرم ، وكانوا يقلدونه بشيء من نعل ، أو عروة مزادة ، أو لهاء شجرة ، لتعرف انها مهداة الى الحرم ، فلا يتعرض لها بشيء من المتع أو الغصب أو نحو ذلك ، فكانت هي قرايبهم التي يتقربون الى الله بذبحها ، فينحرونها في منى في أيام النحر ، وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من نساءكهم اي ذبائحهم بل يطعمونها الفقراء .
الا ان النبي سن للمسلمين ان يأكلوا منها ، وجاء في سورة الحج : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله . لكم فيها خير فاذكروا انتم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر » .

وقد اهدى رسول الله لما حج حجة الوداع ثلاثة وستين بدنة وقيل مائة بدنة ، قال الحلبي في سيرته . وجاء عن ابن عباس قال اهدى رسول الله في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة ثم امر علياً فنحر ما بقي منها . وقال له اقسم لحومها وجلودها وحلاها بين الناس ولا تعط

جزاراً منها شيئاً وخذ لنا من كل بعير جذبة من لحم واجعلها في قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحو من مرقها ففعل . واخبر رسول الله أن منى كلها منحر وان فجاج مكة كلها منحر .

اما اليوم فالناس لا ينحرون الأبل في مكة ، وانما يقربون قربانهم من الضأن ، وقد يبلغ عدد الاضاحي بمكة في ايام النحر مئات الالوف ، هذا اذا ضحى كل واحد من الحجاج بشاة واحدة ، فكيف اذا ضحى بأكثر وفيهم من يضحوا بعشرة فما فوق ، ولا يخفى ان عدد الحجاج في عصرنا هذا يتراوح كل عام بين مائة الف وخمسمائة الف ، وكذلك كانوا في العصور السالفة ، بعدما انتشر الاسلام في اقطار الارض ، ودخل فيه غير العرب من الائم ، على ان محمد (ص) لما حج في السنة العاشرة من الهجرة حجة الوداع كان معه ، بعض الاقوام التي ذكرها الحلبي في سيرته مائة الف من الناس الذين حجوا في ذلك العام ، هذا والاسلام إذ ذاك لم ينتشروا في غير جزيرة العرب فكم يبلغ عددهم بعدما اصبح المسلمون في مختلف اقطار الارض ثلثائة مليون على ما يقال .

ولقد آل الأمر في هذه الضحايا إلى ان صارت تسبب حدوث الأوبئة ، وانتشار الامراض المستولية التي تحتاج في كل عام الوفاً مؤلفة من الحجاج .

تصور بقعة من الارض ازدحمت فيها مئات الالوف من الناس وذبح فيها مئات الالوف من الاضاحي ، وتركت على حالها بعد الذبح لا يأكل منها احد إلا جزء يسيراً يأخذه الفقراء فيشرقونه ويحففونه على الصخور في الجبال تحت حرارة شمس الحجاز المحرقة فيدخرونه ويأكلونه

قديداً . ويبقى معظمها في حرارة الشمس حتى تنق الأرض من الجيف
ويفسد الهواء فتنتشر جراثيم الأرض المهلكة بين الحجاج ، فكيف
تكون حالة الناس في هذه الجزرة الالهية .

ان الحكومة العثمانية على عهد السلطان عبد الحميد لما رأت فضاعة
الامر ووخامة الحالة التي يذهب بها الالوف من الحجاج ذهاب ضحاياهم
التي يضحون بها في مكة كما انهم ينقلون معهم جراثيم تلك الأرض الى
بلادهم عند رجوعهم اليها ، اتخذت بعض التدابير الخفيفة على قدر الامكان
فحصرت الذبح في أماكن معينة بمعنى فلا يجوز لأحد ان يذبح في غيرها
ثم اقامت موظفين وعمالاً يحفرون الحفائر الواسعة لدفن الاضاحي بعد
ذبحها ، ومنعت الفقراء من اخذ اللحوم من بعض هذه الاضاحي
لتشريقها وتقديدها . إذ رأت انهم بذلك يكونون واسطة لنقل الجراثيم
وانتشار الامراض في عهد الحكومة العربية السعودية ، وهي وان لم تمنع
حصول الامراض بالمرّة الا انها خففت وطأتها بعض الشيء .

وقد قال لي بعض الاطباء من الذين كانوا في مكة موظفين عند
الحكومة العربية السعودية انه لم يبق هناك من يأخذ من لحوم هذه
الاضاحي لتشريقها ، لأن الحكومة تمنع من ذلك ، سوى طائفة من
السودان يقال لهم التسكرانة ، وهم يسكنون في ضواحي جدة ، فيأتون
في ايام النحر الى مكة فيسرقون من هذه اللحوم ما استطاعوا أن
يسرقوا فينشرونها فوق الجبال على الصخور حتى تجف لاستخراج هذه
اللحوم المقددة ، التي تنتشر بواسطتها جراثيم الامراض الفتاكة .
لا شك ان هذه الاضاحي انما شرعت لسد حاجة الفقراء فلا يجوز

ان مكة مركز ديني أعلى للمسلمين ، وان المقصود من الحج هو اجتماعهم
هناك في كل عام للنظر في شؤونهم العامة في الحج ما هو سوى مؤتمر ديني عام
يعقده المسلمون في مكة ليتذاكروا ويتشاوروا فيما تتطلبه المصلحة
الاسلامية العامة من الامور التي تعود على عموم المسلمين بالصلاح
والفلاح .

وهذا العمري كلام حسن لولا ان الواقع يكذبه ، وانه ليس له ظل من
الحقيقة . فان افعال الحج معلومة من الوقوف بعرفة ، والتلبية وري
الجار ، والطواف بالكعبة ، واستلام الحجر الاسود ، والسعى بين
الصفاء والمروة ، والنحر في منى ، وقد مر على المسلمين ثلاثة عشر قرناً
وهم يؤدون فريضة الحج فيفعلون هذه الافعال المعلومة ، لا يزيدون
فيها ولا ينقصون من عهد الرسول الى يومنا هذا ، ولم نرهم في عام من
الاعوام تذاكروا وتشاوروا ولو فيما يخص الحجاج في مكة ويهيء لهم
أسباب الراحة ، وبقية من فتك الامراض المستولية عليهم على الاقل ،
ولو ان هؤلاء قالوا ان الحج يجب ان يكون بعد اداء هذه الافعال المعلومة
أو قبل او انها بشكل مؤتمر عام ينظر فيه المسلمون في شؤونهم العامة ،
لكان لكلامهم معنى صحيح ، ووجه وجيه ، اما قولهم ان الحج
فرض لهذه الغاية فكلام فارغ ليس له معنى بوجه من الوجوه .

* * *

لا رب ان اهم ما في افعال الحج الوقوف بعرفة ، بل نحن اذا نظرنا
الى حديث « الحج عرفة » وان من لم يدرك الوقوف بها ، لم يدرك
الحج علمنا ان الوقوف بعرفة هو الاصل في الحج ، وان ما عداه ليس إلا

فرعاً ، ولم يكن لاهل الجاهلية في يوم عرفة سوى الوقوف والتلبية ، ولكن النبي (ص) زاد على ذلك الخطبة ، فانه لما جاء الي عرفة في حجة الوداع وذلك في صباح اليوم التاسع من ذي الحجة امر ان يضرب له لهقبة من شعر بتمرة ، فبزل في تلك القبة حتى اذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت ، ثم أتى بطن الوادي فخطب وهو على راحلته ، خطبة ذكر فيها تحريم الدماء ، والاموال والاعراض ، ووضع ربا الجاهلية ، وأول دم وضعه رباعمه العباس ، ووضع الدماء في الجاهلية ، وأول دم وضعه دم ابن عمه ريبة بن الحارث بن عبد المطلب ، قتلته هذيل ، فقال : هو اول دم ابدأ به من دماء الجاهلية موضوع فلا يطالب به في الاسلام ، واوصى بالنساء خيراً ، وقضى هن بالرزق والكسوة ، بالمعروف على ازواجهن ، وابعض ضربهن غير المبرح ان أتين بما لا يحل ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله ، واخبر انه لا يضل من اعتم به ، والخلاصة انه تكلم في الشؤون العامة الاسلامية .

فهل اعتبر المسلمون بهذه الخطبة فجعلوا هناك مؤعراً عاماً يعقدونه في يوم عرفة أو قبله للنظر في شئوهم العامة من دون ان يخلوا بشيء من افعالهم اجل انه كان على المسلمين ان يعتبروا بذلك ، وان يتنبهوا له ، ولا يضر الاسلام والمسلمين لو انهم بنوا لهم في مكان تلك القبة التي ضربت لرسول الله داراً قوراء يأترون فيها قبل الوقوف بعرفة أو قبل يوم عرفة ، وجعلوا هذه الدار بحيث تتسع لاهل الرأي ولاهل الحل والعقد من الحجاج ان لم تتسع لهم اجمعين .

بل ماذا يضر الاسلام والمسلمين لو انهم بعد قدومهم مكة وبعد

طوافهم طواف القدوم ذهبوا الى عرفة قبل يوم التروية ، وقضوا تلك الايام الثمانية من ذى الحجة هناك بدلا من ان يقضوها في مكة مشغولين بالطواف وبالسعي بين الصفا والمروة ، فعقدوا مؤتمرًا في تلك الدار فتذاكروا وتشاوروا ، وقرروا المقررات فيما ينفعهم ويصلحهم على قدر الامكان .

ان هذا لا يضر الاسلام والمسلمين ، ولا يصادم الدين ولا يمنعهم من أداء مناسك الحج كما هي ، فليقفوا بعرفة وقوفهم ، وليلبوا ما شاؤا ، وليرموا جمارهم ، ويطوفوا بالبית ما ارادوا ، وليسعوا بين الصفا والمروة ما احبوا ، ولينحروا ما شاؤا . ولكن مع ذلك كله يعتقدون هذا المؤتمر للنظر في شؤونهم العامة ، او النظر في امر الحج وامر الحجاج على الاقل .

* * *

انهم لو فعلوا ذلك لاستطاعوا ان يهيئوا بمكة للحجاج ما يحفظ صحتهم ويقيهم من عدوى الامراض ، ويوفر لهم اسباب الراحة ، ويسهل عليهم السفر ، ويمهد لهم النبل ذهابًا وايابًا ، وبالجملة انهم لو فعلوا ذلك لاستطاعوا ان يجعلوا للحج صبغة مدنية عدا صبغته الدينية ، وان يفرغوه في قالب يلائم روح الحضارة في هذا العصر .

أليس في امكان المسلمين ان ينتفعوا بهذه الاضاحي التي يضجون بها على الوجه الذي مر بيانه ؟ ... فتكون سببًا لخسارتهم في الانفس والاموال . أليس من الممكن انشاء معمل للكونسروة في مكة لحفظ لحوم هذه الاضاحي في العلب وارسالها الى البلاد ، بدلا من ان تذهب

سدى ، وان تسكون سبباً لحصول انواع الأوبئة وانواع الامراض
 المستولية ، أو ليس من الممكن انشاء مذبغة في مكة لدبغ جلود هذه
 الاضاحى وارسالها الى الاسواق ؟ ... أليس من الممكن بناء مستشفى عام
 للحجاج يحتوى على جميع ما تحتوي عليه مستشفيات هذا العصر ؟ ...
 بلى ! كل ذلك ممكن سهل يسير على المسلمين لو انهم انتفضوا من
 جهودهم ، وراعوا في امور دينهم ما تقتضيه امور دنياهم ، ومشوا مع
 الزمان وتطوروا بأطواره ، وترووا في الامور وافتكروا ، وتركوا
 ما هم عليه من الجور الدينى الذى خرجوا به عن غاية الدين حتى أصبح
 الدين بسببه عثرة في سبيل تقدمهم ، وحتى أصبحوا وهم لا يعرفون من
 الدين سوى رميهم المصلحين من المفكرين بالكفر والاحاد .

* * *

وقد كان للمسلمين وخاصة العرب منهم عذر إذ لم يفتكروا في اصلاح
 حالتهم من الوجهة الدينية أيام كانت الدولة دولتهم ، والحكم حكمهم ،
 وزمام الامر والنهي بأيديهم .

أما اليوم وقد أصبحوا وهم كلهم وخاصة العرب تحت سلطة الاجانب
 وتحت حكمهم مباشرة أو بالواسطة ، فلا عذر لهم عند الناس ، ولا متاب
 عليهم عند الله .

ولعمري لو ان المسلمين اتخذوا لهم في عرفات دار ندوة عامة كما قلنا
 لأصبحت لهم اليوم على الاقل بقعة حرة من الارض يجتمعون فيها
 احراراً ، ويفتكرون احراراً في هذه الايام التي هم فيها ليسوا في بلادهم
 باحرار .

بناء المسجد

أول عمل قام به النبي (ص) بعد قدومه المدينة هو بناء المسجد ، وليس المسجد كما نفهمه اليوم محلاً للعبادة فقط ، بل هو محل لكل ما يتعلق بالدعوة الى الاسلام ، وكل ما يهيء اسباب النهضة ، ويمهد طرقها ، فكما كان النبي يصلي فيه بالمسلمين الصلوات الخمس ، كان يجتمعهم فيه كما غنى خطب وعرض له امر ، فيقوم فيهم خطيباً ، وذلك يوم الجمعة الذي هو يوم اجتماع عام ، والصلاة فيه لا تكون الا مقرونة بخطبة فالمسجد باعتبار هذا يكون درهة للخطابة في الاجتماعات العامة التي تدعو اليها الحاجة .

وكان يجلس فيه للقضاء وفصل المخاصمات بين المسلمين ، فكان يترافع اليه فيه أهل الخصومات فيقضي بينهم في المسجد . فهذا الاعتبار يكون داراً للقضاء أو محكمة كما يقال اليوم .

وكان في المسجد يرتب السرايا ، ويبعث البعوث ، ويعقد اللوية لمن يؤمرهم عليها فهو بهذا الاعتبار دار امانة .

وكانوا يأتون بالفنائم والاسرى ، وبالسبايا في المسجد ، فيقسمها عليهم بعد ان يأخذ الخمس لله ولرسوله ، فهو بهذا الاعتبار ثكنة عسكرية .

وقد جعل فيه صفة يأوى اليها من لا مأوى له من المساكين ، وفقراء المسلمين فهو بهذا الاعتبار ملجأ للفقراء والمساكين .

وكان يجلس فيه اصحابه يتحدثهم ويحدثونه ، كما يجلس فيه أصحابه

بعضهم الى بعض فيكون باعتباره هذا نادياً .

وكان تجبى اليه اموال الصدقة فتخزن فيه ان كانت عيناً فهو بهذا الاعتبار بيت مال .

وكما يكتب فيه الوحي المنزل ، كانت تسكتب فيه السكتب الى الملوك وغيرهم فهو بهذا الاعتبار ديوان رسائل ،

وكانت تقام فيه الحدود ، كالجلد ، والقطع ، والرجم ، كما تدل على ذلك قصة الغامدية التي اعترفت بالزنا ، واستدل ابن القيم بذلك على جواز اقامة الحدود في المصلى ، فهو بهذا الاعتبار دار عقوبة .

وكان يجلس فيه للوفود ، ويجهزهم بالعطايا ، فهو بهذا الاعتبار بلاط ملوكي .

والخلاصة هي كما قلنا آنفاً ، ان المسجد محل عام للصلاة وغيرها من الامور المتعلقة بالدعوة والمهدة لطريق النهضة .

اقتران الدعوة بالسيف

كان محمد (ص) في مكة هو واصحابه مستضعفين ، لا قوة لهم على خصومهم ، من كفار قريش ، ولذا كان يدعو الناس الى الاسلام بالوعظ والانذار ، عن طريق المسالمة كما جاء في القرآن : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » فهذه الآيات كانت شعار الدعوة في مكة ، ولكنه لما هاجر الى المدينة بعد بيعة العقبة الكبرى قويت شوكمته ، واشتد جناحه بالانصار الذين بايعوه ، والمهاجرين الذين تابعوه ، وعندئذ قرن دعوته بالسيف ليقاتل خصوم دعوته من الكافرين ~~بلا~~ انه جرياً على دينه في جميع امور الدعوة تدرج في امر القتال تدرجاً منطقياً على قدر ما عنده من قوة حربية

فأول آية نزلت في القتال في المدينة هي : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » . فهذه الآية تظمنت أمرين احدهما الاذن بالقتال أي جعله مباحاً لهم من غير ان يفرض عليهم فرضاً ، والثاني ان الاذن لهم بالقتال انما هو بسبب انهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق ، فسياق الآية يدل على ان المأذون لهم بالقتال هم المهاجرون لا الانصار ، لانهم لم يظلموا ولم يخرجوا من ديارهم .

على انه لا حاجة هناك الى الاذن بالقتال للانصار لأنهم يقاتلون بحكم البيعة التي بايعوا بها محمداً على ان يحموه وينصروه ، ويجوز ان يكون الاذن عاماً للمهاجرين والانصار وان كان سببه خاصاً بالمهاجرين .

هذه اول خطوة خطاها محمد في أمر القتال ، ثم انه تقدم فيه خطوة اخرى فجعله الله فرضاً على المسلمين ، ولسكن لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم إذ قال : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » وهذه هي الحرب الدفاعية ، واستمر الحال على ذلك الى السنة الثامنة من الهجرة ، حتى حصل لمحمد من القوة والشوكة ما استطاع به ان يعين الحرب الهجومية العامة ، وبذلك نزلت سورة براءة التي نبذ فيها الى المشركين عهودهم ، وبرأ منهم ، وامهلهم اربعة اشهر وهي الاشهر الحرم ، واعلمهم انه واياهم في حالة حرب مستمرة فيما عدا هذه الاشهر الاربعة ، وكان ذلك سنة ثمان وقيل سنة تسع للهجرة .

✓ فعلى هذا يكون للقتال في هذا التدرج اربعة احكام : الاول انه محرم ، وذلك في اول الامر حين كان محمد بمكة ، الثاني انه مأذون به اي مباح ، وذلك في اول الهجرة في المدينة ، الثالث انه مأمور به أي مفروض على المسلمين لمن بدأهم بالقتال ، وهذا لم اعثر فيما بين يدي من الكتب على تعيين زمانه بالضبط ، الا انه ليس بين هذا وبين ما قبله زمان طويل على ما أظن ، الرابع انه مأمور به ، أي فرض على المسلمين لجميع المشركين وان لم يبدؤهم بالقتال في غير الاشهر الحرم ، وذلك في سنة ثمان وقيل سنة تسع ... »

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مرّ على البشر دهر كانوا فيه مستعبدين ، يعيشون بين رب ومربوب ، وكان الرب الواحد منهم في نعيم والالوف من المربوبين في شقاء ، وكان الارباب فيهم كثيرين ، على درجات مختلفة ، اما المربوبون فيهم السواد الاعظم الذي يكذب ويشقى لنعيم الارباب ، وكان المربوبون يعملون لهم ويعبدونهم ، خوفاً وطمعاً ، وقد اشار القرآن الى هذه الحالة بآية من آياته اذ قال :

« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقلوا اشهدوا بأننا مسلمون »

اما القوة التي كان الارباب يستعبدون بها المربوبين فهي اما مادية ، كالقوة البدنية ، وما يتبعها من سلاح واعوان ، واما أدبية كالدين وما يتبعه من رؤساء وكهان ، وقد تكون هاتان القوتان احدهما عوناً للآخر ، وقد تجتمعان في شخص واحد . وخلاصة القول ان هاتين القوتين كانتا منذ عرف التاريخ الى يومنا هذا هما الوسطة لاستعباد البشر بعضهم بعضاً .

لا شك ان هذه الحالة التي لا تعرف للمجتمع حقوقاً غير حقوق الارباب . . محتاجة الى اصلاح ، وان خير ضامن لاصلاحها ما جاء به محمد (ص) من كلمة التوحيد وهي « لا إله إلا الله » التي لم يسبق اليها على ما أرى ، لأن « يهوا » إله اليهود وان كان واحداً الا انه ليس بإله

عام بل هو إله اسرائيل فقط ... اما الاله الاعظم العام الشامل المهيمن على جميع المخلوقات فهو الله الذي عرفه ووحده محمد (ص) لا غير ، فهو اذن بهذا المعنى من تصوراته التي لم يسبقه أحد اليها .

قد يقال ان العرب في جاهليتهم قبل محمد كانوا يعرفون الله بهذا المعنى ، أنه إله عام خالق لجميع المخلوقات « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » .

فأقول نعم ! ولكنهم لا يوحّدونه بل يجعلون لهم شركاء فلم تنتف عنهم العبودية لغيره من أصنام وغير اصنام .

وإذا تأملنا جيداً في معنى « لا إله إلا الله » وجدنا كل ما فيها انها ترتقى بالناس ، من طور أدنى ، الى طور اعلى ، إذ تخرجهم من طور عبودية عامة ، الى طور عبودية خاصة أي انها تجعل الناس كلهم مستعبدين لاله واحد ، لا شريك له ، هو خالق الكائنات ، فالمنفعة المترتبة على فكرة التوحيد هي للناس لا لله ، لأنهم تحرروا من العبودية لغير الله فنفعها لا يعود إلا اليهم ، وفائدتها لا تسكون الا لهم ، والا فان الله لا يضره ان يعبد الناس غيره ، كما لا ينفعه ان يعبدوه دون سواه « ان الله غني عن العالمين » .

غاية محمد

ان الغاية التي يرمي اليها محمد من الدعوة الى الله أو من النبوة ليست بدينية محضة بل مدليل .. انه قبل الجزية من غير العرب من اهل الكتاب والمجوس ، إذ لا ريب ان اخذ الجزية منهم وتركهم على ما هم عليه من الكفر والضلال ، ينافي انه لم يرسل الا لدعوة الناس كافة الى التوحيد ، أي الى عبادة الله وحده لا شريك له .

فان قلت ان اهل الكتاب هم اهل دين جاءهم به الرسل من الله فدعوتهم الى الاسلام .. انما هي دعوة اصلاحية ، بخلاف دعوة المشركين فانها انتقاذية ، فلذا قبل من أولئك الجزية ، ولم يقبلها من هؤلاء .

قلت : اما المجوس ، فمحمد (ص) لا يعترف لهم بأنهم أهل دين سماوي فهم والمشركون سواء في نظره ، واما اهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم وان كانوا أهل دين سماوي معترف به ، الا انهم في رأى محمد (ص) قد حرفوه ، وغيروه ، وبدلوه ، حتى اصبح الدين الذين هم عليه غير كاف لنجاتهم من عذاب الله فهم كالمشركين ، يعذبون في جهنم خالدين ، كما نطقت به آيات القرآن ، فلاجل هذا يجب ان تكون دعوتهم انتقاذية ايضاً لا اصلاحية ،

وأيضاً ان النصارى منهم من يجعل المسيح إلهاً على ما جاء في القرآن ومنهم من يجعله ابن الله ، وكذلك اليهود . يقولون عزير ابن الله ، فلا فرق اذن بينهم وبين مشركي العرب ، إذ لا فرق بين شرك وشرك ، بل الشرك شرك كيفما كان ، سواء اشرکوا بالله رجلاً ام اشرکوا به صنماً ،

أو شجرة ، أو كوكباً ، أو غير ذلك .

فقبول الجزية من هؤلاء ، دون مشركي العرب ، يدل دلالة واضحة على ان الغاية ليست بدينية محضة ، وإنما الغاية التي يرمي اليها محمد (ص) هي احداث نهضة عربية ، دينية اجتماعية سياسية ، تكون عربية المبدأ عالمية المنتهى ، اي يقوم بها العرب في بدء الامر ، ثم تعم وتشمل الناس جميعاً في النهاية

* * *

ولا شك ان مثل هذه النهضة تحتاج في سيرها وتكاملها ، الى المال ، ففتح لهم هذا المورد المالي ، بأخذ الجزية من غير العرب ، على ان يكون هؤلاء الذين يؤدونها ، مع بقائهم على كفرهم أهل عهد وذمة ، تحت حماية العرب .

وقد اشار ابو العلاء المعري في لؤمياته الى هذه الجزية بقوله :

المال يسكت عن حق وينطق في	بطل وتجمع اكراماً له الشيع
وجزية القوم صدت عنهم فعدت	مساجد القوم مقروناً بها البيع

* * *

ولما كانت هذه النهضة عربية ، أي يقوم بها العرب دون غيرهم ، وكان العرب كلهم ، او اكثرهم مشركين وثنيين وكانوا مع ذلك متخالفين متخاذلين ، يأكل كل بعضهم بعضاً . كان من الضروري لمحمد (ص) ان يجمع كلمتهم قبل كل شيء ، فيكون فيهم وحدة دينية ويربطهم برابطة الاخاء الديني ، وكذلك فعل اذ انكر عليهم عبادة الاصنام ، وشنع بها كل تشنيع ، وتفنن في ابطالها وتفنيدها بما هو مسطور في القرآن ودعاهم

بكلمة التوحيد « لا إله الا الله » الى عبادة الله وحده لا شريك له .
 وكان في اول الامر مكتفياً في دعوتهم بالآيات القرآنية ، اذ لم تكن
 له قوة يستند اليها في ارغامهم على قبول ما يدعوه اليه .

وقد قاسى ما قاسى من عداوة قومه المشركين ، ولقى منهم اذى كثيراً
 هو واتباعه القليلون المستضعفون ، ولسكنه بعد الهجرة الى المدينة
 حصلت له تلك القوة فصار يدعوه ، وفي احدى يديه القرآن ، وفي الاخرى
 السيف ، فلا يرعى لهم إلا ولا ذمة ، ولا يقبل منهم عذراً ولا جزية إلا
 الاسلام ، فكان يدعوه اليه فان اساموا فيها وإلا سل عليهم السيف فلا
 يغمده حتى يساموا ،

واذا علمت ماذا يريد محمد (ص) من وراء دعوتهم الى عبادة الله
 وحده لا شريك له ، علمت سبب تشدده في تشنيعه عليهم وثليتهم ،
 وتشديده عليهم انكار الشرك بالله حتى جعله من الذنوب التي لا تغفر
 إذ قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
 يشاء » مع انه في الحقيقة ليس كذلك ، لأن الشرك بالله لا يضر الله شيئاً
 كما انه لا يضر الناس مضره مادية ، ولو كان الشرك بالله يضر الناس مضره
 مادية هلك اليوم الذين اعدوا الوثنية جذعة بعبادتهم أهل القبور
 فان الوثنية التي حاربها محمد بسيفه وقرآنه قد عادت بجميع طواغيتها على
 شكل اشنع وافظع مما كانت عليه في الجاهليه ، ومع ذلك ترى هؤلاء
 يسرحون ويمرحون كما لو كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له .

ان محمدأ يعرف هذه الحقيقة جيداً ، ولكن كما قلنا ان سبب تشدد
 القرآن في انكار الشرك الى هذا الحد هو ما يريد من جمع كلمتهم ،

وتكوين وحدة دينية فيهم لكي ينهض بهم نهضة كبرى تسكور عاقبتها الخير للناس اجمعين .

ولما كانت الوحدة الدينية وحدها مجردة من المراتب المادية والمعنوية لا تكفي لانهاضهم النهضة المطاوعة ، جعل لها من المراتب المعنوية « الجنة » التي تنال بالاعمال الصالحة ، وجعل افضل الاعمال الصالحة الشهادة أى الموت في سبيل النهضة ، او في سبيل الله .

ولم يعتبر الشهيد المقتول في سبيل الله ميتاً ، بل جعله حياً يرزق إذ قال : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون » .

وجعل لنهضتهم من المراتب المادية ، ان أحل لهم الغنائم ، والنساء السبايا في الحرب ، وزاد ان ضرب لهم الجزية على غيرهم من أهل الاديان ولم تكن الغنائم في الاديان السابقة حلالاً ، فكان من خصائصه ان أحلت له الغنائم كما يدعيه كتاب السيرة النبوية ، والذي نراه ان أخذ الغنائم والسبايا من عادة العرب فى الجاهلية ، فانهم كانوا فى حروبهم اذا أغار بعضهم على بعض استاقوا الانعام التي هي جل اموالهم واخذوا النساء سبايا .

واذا علمت ان هذه المراتب المادية والمعنوية ، وعلمت ان العرب كانوا بطبيعة بلادهم القاحلة يعيشون فى ضنك من العيش محرومين من نعيم الحضارة كل حرمان ، وعلمت ايضا انهم كانوا يبدؤهم من أشد الناس بأساً ، واشدهم فى الحروب شجاعة واقداماً ، فقد انكشف لك

سر الموفقات والفتوح التي جنوها من نهضتهم الاسلامية المحمدية .
 شجاعة واقدام ، مع شظف في العيش حصلت بعدها وحدة في القوم
 جعلتهم جسماً واحداً ، ثم انفتحت لهم ابواب الجنان من جهة ، وتكدست
 امامهم غنائم الحرب من جهة اخرى ، فأى عجب . يبقى بعد هذا من ان
 نراهم قد دوخوا البلاد من اقصى الشرق الى اقصى الغرب في مدة لا تزيد
 على الثلاثين سنة .

دع الناس يَحْتَلِقُونَ المعجزات لمحمد ، وانظر الى هذه النهضة وآثارها
 الباهرة ، فانها معجزة المعجزات التي لم يسبق لها نظير في البشر منذ
 عرف التاريخ الى يومنا هذا ! . . .

* * *

وكيف ينكر علينا منكر ما قلناه ، من ان الغاية التي كان يري اليها محمد
 هي هذه ، وقد صرح هو نفسه بها عدة مرات .

فقد جاء في سيرة ابن هشام ، وفي السيرة الحلبية ، ما خلاصته : لما
 مرض ابو طالب مرض وفاته ، أتاه الملائكة من قريش ، وطلبوا منه ان
 يكلم محمداً (ص) في ان يتركهم وآلهتهم ، ويتركوه هم وشأنه فدعاه أبو
 طالب وكلهم في ذلك ، فقال محمد « أرايتكم ان أعطيتكم ما سألتهم هل
 تعطوني كلمة واحدة تملكون فيها العرب وتدين لكم بها العجم » .

وهذا صريح من انه يريد لهم الملك على العرب ، وان العجم تطيعهم
 وتخضع لهم فتسكون من رعاياهم وذلك ليس من الدين لان غاية الدين هي
 عبادة الله وحده لا شريك له .

* * *

وقد صرح بغايته لسراقة بن مالك المدلجي ، في السيرة الحلبية ما خلاصته : لما خرج محمد من مكة مهاجراً الى المدينة هو وابو بكر جعلت قريش لمن قتلها أو اسرها مأتي ناقة . . وارسلت بذلك الاخبار الى اهل الشواحل فخرج في طلبها سراقة بن مالك فأدركهما ، ولكن الله عصمهما منه ، حتى ان سراقة قال : يا محمد اني لأعلم انه سيظهر أمرك في العالم ، وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا أتيتك يوم ملكك فأكرمني ، وطلب اليه ان يكتب له كتاب أمان فأمر عامر بن فهيرة مولى ابي بكر وكان معها فكتب له كتاب أمان ، ولما اراد سراقة الانصراف قال له « محمد » « كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسواري كسرى ، قال كسرى بن هرمز قال نعم »

وهذا صريح في انه يريد من وراء الدعوة الى الله ، فتح بلاد فارس واغتنام أموال كسرى حتى سواريه ، فيأخذها سراقة ويتسور بهما . . وقد صرح بغايته يوم الخندق ، في السيرة الحلبية ، وكذا في سيرة بن هشام عن سلمان الفارسي قال : « ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ ، ورسول الله قريب مني ، فلما رأي اني اضرب ورأى شدة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به اخرى فامعت تحته برقة اخرى ثم ضرب به ثالثة فلمعت برقة اخرى فقلت بأبي انت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيته يلعب تحت المعول وانت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ .. قلت نعم . قال اما الاولى فان الله فتح عليّ بها اليمين ، واما الثانية فان الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، واما الثالثة فان الله فتح بها المشرق ، وفي رواية

أخرى أنه لما اشتدت تلك الكدبة على سامان ، أخذ رسول الله المعول من سامان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت بركة فكبر رسول الله وقال : اعطيت مفاتيح الأمن اني لأبصر صنعاء من مكاني الساعة كأنها انياب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله وقال اعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لأبصر قصورها الحجر ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرقت بركة فكبر وقال اعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب في مكاني هذا ، وفي رواية اني لأبصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل يصف لسامان اما كن فارس ويقول سامان صدقت يا رسول الله هذه صفتها أشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله « هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سامان » .

* * *

ولما قال سامان ما قال يوم الخندق ، وشاع ذلك بين الصحابة ، قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير : الا تعجبون من محمد يمينكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وانه تفتح لكم ، وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق اي الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا . فزلت الآية « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وفي رواية اخرى ان سبب نزول هذه الآية غير ذلك ، وهو ان محمداً لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود : هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم ، وهم اعز

وامنع من ذلك فزلت الآية .

وقد صرح بغايته على وجه آخر لعدي بن حاتم لما وفد عليه من الشام ، في سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ما خلاصته :

ان عدى بن حاتم لما غشيت خيل محمد فر هارباً الى الشام ، وكان على دين النصرانية ، او على دين الركوسية . وهي دين بين النصرانية والصائبة ، وكان شريفاً يسير في قومه بالمربع أى يأخذ ربع الغنيمة ، كما هو شأن الاشراف من اخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة ، وكانت خيل محمد قد اخذت اخته في السبايا ، غير ان محمداً من عليها فأطلقها واكرمها فذهبت الى اخيها عدى في الشام ، فخرضته على اللحق بمحمد فخرج الى المدينة وافداً ، وهنا ترك الكلام له لأن الرواية عنه قال :

فخرجت حتى جئته أي محمداً ، بالمدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم ، فقام رسول الله وانطلق بي الى بيته ، فوالله انه لقاعدني اليه إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تسكلم عن حاجتها فقلت ما هو بملك ، ثم مضى حتى دخل بيته ، تناول وسادة بيده من آدم محشوة ليفاً ، فقدمها لي وقال اجلس على هذه فقلت بل انت فأجلس عليها قال بل انت فجلست عليها وجلس رسول الله بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لي يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، قالها ثلاثاً ، فقلت : اني على دين ، قال انا أعلم بدينك منك ، فقلت انت اعلم بديني قال نعم ألسنت من الركوسية ؟ الست من القوم الذين لهم دين ؟ . . فقلت بلى فقال ألم تكن تسير في قومك بالمربع قلت بلى قال فان ذلك لم يكن سيحل لك في دينك ، فقلت اجل والله وعرفت انه نبي مرسل

يعلم ما يجمل . ثم قال لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى؟! وتقول إنما اتبعه ضعفة الناس ، ومن لا قوة له ، وقدرة العرب مع حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم وقلة عددهم ، أتعرف الحيرة؟ .. قلت لم ارها وقد سمعت بها ، قال : فوالله ليتمن هذا الامر حتى تخرج الطعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، وفي رواية ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم ، قال عدي : وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تخرج البيت ، وإيم الله لتسكون الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .

لا شك ان في قوله « ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه » اشارة الى ما سيفتحون ويملكون من البلاد التي تدر عليهم بخراجها وجزياتها ، عدا الغنائم .

ومن تصريحاته ما قاله لوفد بني عذرة قبيلة باليمن ، وكان عذره اخا قصي لأمه ، وهو الذي اعان قصياً على أخذه ولاية السكعبة من خزاعة . ففي السيرة الحلبية أنه وفد على رسول الله اثنا عشر رجلاً من بني عذرة ، وسلموا بسلام الجاهلية ، فقال لهم رسول الله من القوم فقال قائلهم : من بني عذرة نحن الذين عضدوا قصياً ، وازاحوا من بطن

مكة خزاعة وبني بكر فلنا قرابات وارحام ، فقال رسول الله : مرحباً
بكم واهلاً فاستأنسوا ولا تستوحشوا ، ما عرفني بكم . ثم قال لهم : فما
يمنعكم من تحية الاسلام قالوا : يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا
مرتادين لأنفسنا ولقومنا . وقالوا إلام تدعو ؟ ... فقال : ادعو الى
عبادة الله وحده لا شريك له وان تشهدوا اني رسول الله الى الناس كافة
فقال متكلمهم : فما وراء ذلك فقال الصلوات الخمس ، تحسن ظهورهن ،
وتصلين لمواقيتهن ، فانه افضل العمل ، ثم ذكر لهم باقي الفرائض من
الصيام والزكاة والحج ، فأسلموا ، وبشرهم رسول الله بفتح الشام عليهم ،
وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ، ثم انصرفوا وقد اجيزوا وكسا رسول
الله احدى برداء .



المرحوم الرصافي وهو في دور شبابه وفي عهد تخصيصه العلمي

عنه قريشاً

قلنا فيما تقدم ان الغاية التي يزرع اليها محمد ليست بدينية محضة ، بل يريد ان يحدث نهضة كبرى ، او موجة عربية كبرى تكون اجتماعية سياسية ، يقوم بها العرب في بدء الأمر ، على ان تكون لهم السيادة فيها على غيرهم من الناس ، ثم يكون نفعها عاماً شاملاً للناس اجمعين ، وقد مر بك قوله للملأ من قريش عند ابي طالب لما حضرته الوفاة « اعطوني كلمة تمتلكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » والمخاطب في قوله « تمتلكون » هم الملأ من قريش . واذا جاز الاعتماد على ما جاء في كتب القوم من الاحاديث المأثورة قلنا ان كان يريد في نهضته بالعرب ان يكون الملك والسلطان من ورائها لقريش مباشرة وللعرب بواسطة قريش .

أما الأدلة على جعله الملك لقريش فلنذكر لك ما تيسر منها ، فمن ذلك قول محمد : « الأئمة من قريش » وقوله « قريش ولادة هذا الامر » وقوله « قريش امانة » . ورواه بعضهم أهل أمانة بالنون وهو من تحريف الرواة قال الطووي : قريش أهل امانة هكذا قرأه علينا المزي بالنون ، وانما هو أهل امامة بالميم والامامة هي الخلافة ، والامام الاعظم عند المسلمين هي الخليفة ، وقد جمع الحافظ بن حجر طرق هذا الحديث أغنى « الأئمة من قريش » في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الأئمة من قريش .

وكان محمد يحب قومه قریش ، ويفضلهم على غيرهم من العرب ، حتى انه لم يكتف بتفضيل خيارهم على خيار الناس ، بل جعل شرارهم خيار شرار الناس .

ففي السيرة الحلبية قال : رأيت في كتاب السنن المأثورة عن إمامنا الشافعي ما رواه المزني عنه - « ان خيار قریش خيار الناس وشرار قریش خيار شرار الناس » وعن الشافعي ايضاً : ان قتادة بن النعمان وقع في قریش وكأنه نال منهم فقال رسول الله : « مهلاً يا قتادة لا تشتم قریشاً فانك لعلك ترى منهم رجالاً اذا رأيتهم عجبت منهم لولا ان تطغى قریش لاخبرتها بالذي لها عند الله » .

ومن حبه لقریش ، وايمانه لبني هاشم ما جاء في كتب السير من انه لما التقى الجمعان يوم بدر ، ونهياً كل من الفريقين للقتال ارسل اليهم عمر ابن الخطاب يقول : ارجعوا فانه ان يلي هذا الامر مني غيركم أحب ألي من أن تلوه مني ، فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفاً فأقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعدما عرض من النصف ، فقال ابو جهل : والله لا أرجع بعد ان مكننا الله منهم .

والنصف في قول حكيم بن حزام اسم بمعنى الانصاف ، فطلب محمد منهم الرجوع ، وقوله لهم : ان يلي هذا الامر مني غيركم أحب الي من ان تلوه مني صريح ، في انه لا يحب ان يصيب قریشاً بمكروه .

ومن هذا القبيل ما وقع يوم بدر ايضاً ، وذلك ما جاء في السيرة الحلبية من أن عتبة بن ربيعة لما خرج بين اخيه شيبة وابنه الوليد حتى فصل من النصف ، ودعا المسلمين للمبارزة خرج اليه فتية من الانصار

ثلاثة أخوة أشقاء هم : معوذ ومعاذ وعوف بنو عفراء ، فعلى رواية أبي كفار قریش أن يبارزوه ، وقالوا لهم من انتم ؟ قالوا رهط من الانصار : قالوا ما لنا بكم من حاجة اكفاء كرام انما نريد قومنا .

وفي رواية اخرى ، ان محمداً كره أن تكون الشوكة لغير بني عمه وقومه في اول قتال ولذلك أمرهم بالرجوع فرجعوا ، وقال : قوموا يا بني هاشم وقاتلوا بحكم الذي بعث به نبيكم إذ جاءوا يبطلانهم لبطفوا نور الله ، قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فقاموا .

ففي الرواية الثانية صراحة من انه يجب ان يكون النصر لقریش دون غيرهم ، وفي قوله « بحكمكم » إشارة الى انه انما يأمرهم بالقتال ليكون الامر لهم في العاقبة ، وحقاً من حقوقهم ، والا لم يقل لهم بحكمكم بل بحق الله لأن هذا القتال انما هو في سبيل الدعوة الى الله .

* * *

ومن حبه لقریش عامة ولذوى قرابته الاذنين من بني هاشم خاصة ، ما وقع يوم بدر أيضاً ، وذلك كما في السيرة الحلبية :

لما وضع المسلمون ايديهم في كفار قریش يقتلون ويأسرون قال محمد لأصحابه : انكم قد عرفتم ان رجالاً من بني هاشم قد خرجوا مكرهين لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احداً من بني هاشم فلا يقتله ، ونص على العباس بن عبد المطلب ، اي صرح باسمه ونهى عن قتله فلما سمع ذلك أبو حذيفة بن عتبة ، وكان من المسلمين ، وكان أبوه عتبة واخوه الوليد وعمه شيبة قد قتلوا في اول مبارزة وقعت يوم بدر قال : أيقتل آباؤنا واخواننا وعشيرتنا ويترك العباس لئن لقيته لأجته السيف ، فبلغت

مقالته هذه رسول الله ، فقال لعمر يا أبا حفص أياضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ قال عمر والله انه لأول يوم كناني فيه رسول الله بأبي حفص وقال : يا رسول الله دعني اضرب عنقه بالسيف يعني ابا حذيفة فوالله لقد نافق .

لا ريب ان محمداً انما كنى عمر في تلك الساعة بأبي حفص ليشير نخوته في حماية العباس من القتل ، لأن العباس كان مسلماً ، ومحمد يعرف إسلامه ، إلا انه كان يخفي إسلامه لأنه كان صاحب استخبارات محمد في مكة فالعباس في مكة كان ينافق في كفره كمن كان ينافق في إسلامه من أهل المدينة في المدينة ، حتى ان العباس اراد ان يهاجر الى المدينة فمنعه محمد ، لان بقاءه في مكة مخفياً إسلامه ، متظاهراً بالكفر كان اكثر فائدة لمحمد من محيئه مهاجراً الى المدينة .

* * *

ومما يدل على حب محمد لقريش ، ما قاله لقتادة يوم أحد ، وذلك ان قريشاً مثلوا بقتلى المسلمين ، فلما رأى ذلك ابو قتادة الانصاري اراد التمثيل بقريش فقال له محمد : « يا ابا قتادة ان قريشاً أهل امانة من بغاهم العوائير اكبه الله الى فيه ، وعسى ان طالت بك مدة ان تحقر عملك في اعمالهم وفعالهم مع فعالهم لولا ان تبظر قريش لاخبرتها بما لها عند الله » فقال ابو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله ، فقال : صدقت بنس القوم كانوا لنبيهم .

ومن ذلك خبر ثمامة بن اثال الحنفي في سيرة ابن هشام ان ثمامة هذا لما اسلم خرج معتمراً الى مكة فلما قدمها قال كفار قريش أصبوت يا تمام

فقال : لا والسكنى اتبعت خير الدين دين محمد ولا والله لا تصل اليكم حبة من الحيامة حتى يأذن فيها رسول الله .

وكانت مكة تأتيها الميرة من الحيامة ، ثم ان ثمامة لما ذهب الى الحيامة منع ان تحمل الميرة الى مكة ، فكتب اهل مكة الى محمد انك تأمر بصلاة الرحم ، وانك قد قطعت ارحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فكتب محمد الى ثمامة ان يخلي بينهم وبين حمل الميرة .

هذا مع انه كان واياهم في حالة حرب تجيز له ان يمنع عنهم الميرة ، والسكنى لم يمنعها عنهم رافة بهم وعظفاً عليهم .

ولو ان محمداً استعمل عشر هذا العطف وهذه الرافة مع يهود بني قريضة وبني النضير ويهود خيبر لما استأصلهم قتلاً وتشريداً مع ان هؤلاء كقريش في عداوتهم له .

على اننا اذا حكمنا بانصاف قلنا : ان محمداً معذور في معاملة هؤلاء اليهود دون قريش لانه يعلم ان اليهود اعداؤه الى الابد ، فلا يأمل ايمانهم به ولا يرجو انقلابهم اليه ، بخلاف قريش فانهم قومه ، فان عادوه فان عداوتهم ناشئة عن جهل لا عن حسد ، ومهما تمادوا في عداوته فلا بد من ان يأتي يوم يعرفون فيه ما يريد لهم من الخير والاصلاح ، فيؤمنون به ، وينقلبون اليه ، ولذا كان يدعو الله فيقول « رب إهد قومي فانهم لا يعلمون » أي لا يعلمون ما أريده لهم من الخير .

على ان محمداً كانت دعوته عالمية انسانية تشمل الناس اجمعين فاننا لا نستطيع ان نجرده من العاطفة القومية خصوصاً اذا كانت دعوته لا تتم إلا بانهاض قومه العرب عامة وقريش خاصة ، ولذا وردت عنه

احاديث في تفضيل قومه قريش ، وفي تفضيل العرب على غيرهم من الامم
فهذه الاحاديث كلها يجب ان تحمل على ما يريد من التوصل بها الى
انهاضهم لتتم بهم الدعوة ، والا فهو الذي نهام عن الفخر بالآباء وقال لهم :
كلكم لآدم وآدم من تراب .

* * *

فان قلت ان استئثاره بالملك لقومه في قوله « الائمة من قريش »
ينافي ما يقال من ان دعوته كانت عامة عالمية قلت :

ان كون دعوته عامة عالمية ثابت بجعله الاخوة والمساواة عامتين
شاملتين لكل من دخل في الاسلام من اي جنس كان ، والى أي قوم
انتسب إذ قال : « انما المؤمنون اخوة » وقال : « المسلمون يد على من
سواهم تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم » وقال « كلكم لآدم وآدم
من تراب » وقال « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » فهاتان
الاخوة والمساواة العامتان الشاملتان لجميع المسلمين لا تنتقضان بكون
الملك خاصاً لقومه ، بل تتأيدان وتتوكدان لأن الائمة يكونون أئمة
لتنفيذ احكام الدعوة ليس إلا ومن جملة احكامها الاخوة والمساواة ، فلا
منافاة بين كون الدعوة عامة عالمية ، وبين كون الائمة من قريش .

فان قلت لم أثر قومه بتنفيذ احكام الدعوة ؟ قلت لان الدعوة انما
قامت وتمت بسيوفهم ودمائهم فكان من حقهم ان يكونوا هم المهيمنين
على احكامها ، على ان عبارة « الائمة من قريش » لا تدل على الحصر ،
بل على نوع من الترجيح فقد يجوز ان يكون الائمة من غير قريش على
المرجوح لا على الراجح .

* * *

ومما يدل على حبه لقريش ، وانه يريد لهم العز ما قلناه لابي سفيان
يوم دخل مكة فاتحاً ، وذلك انه امر عمره العباس أن يأخذ أبا سفيان فيقف
به عند مدخل مكة في مضيق الوادي ليرى جيوش المؤمنين عند دخولها
مكة ، وكان سعد بن عبادَةَ الانصاري معه حاملاً راية رسول الله على
الانصار ، فلما مر سعد على ابي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي قال
أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادَةَ
معه الراية فلما حاذاه سعد قال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم
تستحل الحرمه ، اليوم اذل الله قريشاً ، ثم مر سعد واقبل رسول الله
فلما مر بأبي سفيان قال له : يا رسول الله امرت بقتل قومك فانه زعم
سعد ومن معه حين مر بنا انه قاتلنا فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم
تستحل الحرمه اليوم اذل الله قريشاً انشدك الله في قومك فأنت أبر
الناس وارحمهم وأوصلهم ، فقال رسول الله : يا أبا سفيان كذب سعد .
اليوم يوم المرحمة أعز الله فيه قريشاً .

* * *

قلما عرف التاريخ رجلاً لقي الأذى والمنشقة ما لقيه محمد في اصلاح
قومه ، نعم قتل كثير من المصلحين في سبيل اصلاح الناس ولكن القتل
دون هذا . لان القتل عذاب ساعة وهذا عذاب مستمر ، ومع ذلك نرى
محمدًا لا يريد لقومه إلا العز ، وقد عفا عنهم لما امكنه الله منهم يوم فتح
مكة .

ومما ذكرناه كفاية لآولي الالباب .



صورة فريدة أهداها المرحوم الرضا في الى الاستاذ سعيد البدري
 جامع هذه الرسالة

هزم محمد

الحزم هو ضبط الامور والاخذ فيها بالثقة ، وان لا يقوم الانسان على امر إلا بعد التثبت فيه ، والاستيثاق منه ، وان لا يدخل حتى يعرف كيف يكون المخرج ، وقد كان محمد من الحزم على جانب عظيم ، كان جد حازم ، واكبر دليل على انه لا يترك المشاورة في الامور كما قالت عنه عائشة : « ما رأيت رجلاً اكثر مشاورة لرجال من رسول الله » . وكذلك يكون الحازم ، مما يدل على حزمه اختباره للانصار في غزوة بدر قبل ان يلق العدو ، وذلك انه لما خرج في غزوة بدر يطلب غير قريش حتى نزل بواد يقال له « ذفران » (بفتح وكسر) أتاه الخبر عن قريش بأنهم خرجوا من مكة ليمنعوا غيرهم ، فعلم من هذا الخبر انه سيلقى حرباً ، وكان معه خمسة وثلاثمائة رجل ، اربعة وستون من المهاجرين وباقيهم من الانصار ، فأخذ يفكر في الامر أولاً لأنه ندب المسلمين الى الخروج قال لهم : هذه غير قريش فيها اموالهم فأخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها ولم يقل لهم اخرجوا لحرب قريش . ثانياً : « لأنه لما دعاهم الى الخروج لطلب العير لم يحتفل للامر ، ولم يهتم به ، بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ، ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه ، ولذا كان عدد الجيش قليلاً ، وكان يمكن ان يكون عددهم اكثر من ذلك ، ثالثاً : ان هذه الحرب التي سيلقها ستكون أول حرب بينه وبين اعدائه من قريش ، فاذا كانت الدائرة فيها لاعدائه كانت الحيلة فيها كبرى ، والمصيبة عظيمة ، رابعاً ان الانصار لما بايعوه عند العقبة كانوا

انما بايعوه على الدفاع عنه ، لا على الهجوم على اعدائه ، فلذا صار
يتخوف من الانصار لا يرون عليهم نصرتهم إلا اذا داهمهم العدو من
المدينة ، وليس الامر هنا كذلك ، بل ان محمداً هو الذي خرج يريد
قريشاً .

* * *

كل هذه الامور دعت محمداً الى التفكير والتثبت فلذا اراد ان
لا يقدم على هذه الحرب إلا بعد ان يستوثق من الانصار ، ويعلم انهم
ناصروه على كل حال ، ولذلك اخبرهم الخبر ، فعقد مجلس حرب للاستشارة
فقال لهم : ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فيما
تقولون ؟ أالعير احب اليكم من النفير ؟ فقالت طائفة منهم : العير احب
الينا من لقاء العدو ، وفي رواية قالوا : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب
له إنا خرجنا للعير وفي رواية قالوا : يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو ،
فعندئذ تغير وجه رسول الله فلما رأى ذلك ابو بكر قام فقال واحسن ،
ثم قام عمر فقال واحسن ، ثم قام المقداد فقال : يا رسول الله امضي لما
امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وريك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، بل نقول انا معك مقاتلون
ما دامت منا عين تطرف فوالذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا الى برك
النقاد (وهي مدينة بالحبشة) لجالدنا بالسيوف معك من دونه ، فأشرق
وجه رسول الله ، وسرّ بذلك وقال خيراً ودعا له بخير .

ولما كان محمد يريد من هذه الاستشارة ان يعلم رأي الانصار لم
يكتف بكلام هؤلاء الذين تسلموا بل عاد فقال : اشيروا عليّ فقام عمر

وقال : يا رسول الله انها قریش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله ليقا تلنك فتأهب لذلك اهبطه وأعد لذلك عدته . ثم عاد ثالثاً وقال : أشيروا عليّ ايها الناس ففهمت الانصار انه يعينهم ، وذلك لانهم عدد الناس اى اكثرهم عدداً ، فقام سعد بن معاذ سيد الاوس وقال : لعلك تريدنا معاشر الانصار يا رسول الله فقال اجل . قال سعد قد آمنناك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة (زاد فى رواية) ولعلك يا رسول الله تخشى ان تكون الانصار ترى عليها ان لا ينصروك إلا فى ديارهم ، واني اقول عن الانصار واجيب عنهم فأظعن حيث شئت ، وصل جبل من من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما اخذت منا كان احب الينا مما تركت ، وما أمرت فيه من امر ، فتأمرنا نتبع لأمرك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا ، وانا لصبر فى الحرب ، صدق اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك .

فعند ذلك ظهر السرور فى وجه رسول الله ، وقال لهم سيروا وابشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين فوالله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم ، يريد بقوله احدى الطائفتين اما العير واما لقاء قریش ، فعلم القوم من قوله « فوالله لكأنى انظر الى مصارع القوم » انهم ملاقون القتال ،

وان العير لا تحصل لهم ، ثم ارتحل رسول الله من ذفران حتى نزل قريباً من بدر .

ان الذي يخالف هذه الخطة « خطة الاستيثاق » التي جرى عليها محمد هنا لا يكون مخالفاً إلا للحزم فإذا اصابته خيبة فلا يلومن إلا نفسه .

* * *

ومن حزمه انه كان بعيد النظر بصيراً بعواقب الامور لا يقدم على أمر إلا بعد التثبت والتوثق فيه ، تدلك على ذلك معاملته لرأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، في غزوة بني المصطلق ، وذلك انهم بعد انقضاء حرب بني المصطلق بينما كان المسلمون نازلين على المريسيع وهو لهم ، اختصم اجير لعمر بن الخطاب كان يقود له فرسه يقال له جهجاه ، مع رجل من حلفاء الخزرج اسمه سنان بن قروة فضرب اجير عمر حليف الخزرج فسال الدم ، فنادى حليف الخزرج يا معشر الانصار . وفي رواية يا للخزرج ونادى اجير عمر يا معشر المهاجرين ، وفي رواية يا لكنانة يا لقريش ، فأقبل جمع من الجيشين ، وشهروا السلاح حتى كاد ان تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية؟ فأخبر بالحال فقال دعوها فانها فتنة ، ثم كلموا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة ، وانطفت ناهرة الحرب ، وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن ابي سلول وكان عنده رهط من قومه الخزرج من المنافقين ، وكان عندهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن ابي والله ما رأيت كاليوم مذلة وقد فعلوها ؟ نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما اعدنا وجلايب قريش هؤلاء الا كما قال الاول : سمّن كلبك

يأكلك ، والله لقد ظننت اني سأموت قبل ان اسمع هاتفاً يهتف بما سمعت ،
 أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل (يعنى بالاعز
 نفسه) ، ثم اقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم
 أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم
 ما بأيديكم لتحلوا الى دار غيركم ، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم
 انفسكم اغراضاً للمنايا فقتلتم دونه (يعنى النبي) ، فأبستم اولادكم ، وقللتم
 وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد .

فسمع ذلك زيد ابن ارقم ، فشتى به الى رسول الله فأخبره الخبر ،
 وعنده عمر بن الخطاب ، ونفر من المهاجرين والانصار ، وفي البخارى
 عن زيد بن ارقم قال فذكرت ذلك لعمي او لعمر فذكره للنبي فدعاني
 فحدثته ، فذكره رسول الله ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك
 غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه ، قال لعله أخطأ سمعك .
 ولامه من حضر من الانصار ، وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه
 ما لم يقل .

فلما رأى عمر ان رسول الله تغير وجهه استأذنه في ان يقتل ابن أبي
 والتمس منه ان يأمر غيره بقتله اذا لم يأذن له في ذلك ، فعن عمر بن
 الخطاب قال : لما كان من امر ابن أبي ما كان جئت رسول الله وهو في
 في شجرة عنده غليم اسود يقمر ظهره (اي يكبسه) فقال يا رسول
 الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة الليلة أي القتي ، فقلت
 يا رسول الله ائذن لي ان اضرب عنق بن أبي ، أو مر محمد بن محمد
 بقتله ، فقال له رسول الله كيف يا عمر ؟ اذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل

اصحابه ، وفي رواية ، ان عمر قال له يا رسول الله اني كرهت ان يقتله مهاجري فأمر به انصارياً ، فقال رسول الله : ترعد له إذن أنف كثيرة يثرب .

ثم اذن بالرحيل ، وكانت ساعة لم يكن رسول الله يرحل فيها لشدة الحر ، فارتحل الناس وسار رسول الله ، فجاءه اسيد بن حضير فخياه بتحية النبوة ، وقال يا نبي الله : لقد رحلت في ساعة مبكرة ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله : اما بلغك ما قال صاحبكم ؟ فقال أي صاحب يا رسول الله ، قال عبدالله بن ابي بن سلول قال وما قال ، قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل ، قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ما بقيت عليهم الا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي فإنه ليرى انك استلبته ملكاً .

ثم ان عبدالله ولد عبدالله بن ابي بن سلول (كان اسمه الحباب فسماه رسول الله يوم موت أبيه بهيد الله) لما بلغه مقالة عمر من قتل ابيه جاء الى رسول الله فقال يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل عبدالله بن أبي (يعني والده) فما بلغك عنه قال إن كنت فاعلاً فمروني ان احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخرز ما كان بها رجل ابر بوالده مني ، واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا .

ولما انتهى رسول الله الى وادي العقيق قريباً من المدينة تقدم عبدالله

بن عبد الله بن ابي وجعل يتصفح الركاب حتى مر ابوه فأناخ به ثم وطى .
 على يد راحلته فقال أبوه ما تريد يا لكع فقال والله لا تدخل حتى
 تقر انك الدليل ، وان رسول الله العزيز حتى يأذن لك رسول الله لتعلم
 أيننا الاعز من الاذل أنت ورسول الله ، فصار يقول لانا اذل من
 الصبيان لانا اذل من النساء حتى جاء رسول الله وقال : خل عن أهلك فخل
 عنه ، وانزل الله سورة المنافقين وفيها تصديق زيد بن ارقم بما اخبر به
 عن عبد الله بن ابي ، وصار قوم عبدالله ابن ابي عند نزول هذه السورة
 يعاتبونه ويعنفونه .

ولما رأى النبي بغض قومه له ومعاتبتهم أيام قال لعمر كيف ترى
 يا عمر أئني والله لو قتلته يوم قلت لارعدت له انوف لو امرتها اليوم بقتله
 لقتلته ، فقال عمر قد والله عامت لامر رسول الله اعظم بركة من امرى
 ولا حاجة الى ان تقول شيئاً بعد هذا ، فانه يتجلى لك من حزم
 محمد ما فيه من كمال .



المرحوم الرصافي مع لفيف من الادباء ورجال الصحافة
في استقبال طاغور فيلسوف الهند العظيم

من لهم قريش

جماع الشيء هو ما يجمعه ويكون له أصلاً ، يقال الجمرة جماع الانتم أي جامعة لأصنافه ، وأصل تفرع أنواعه ، وبالنظر الى هذا : إذا قلنا أن فهرأ مثلاً هو جماع قريش ، كان معنى قولنا هذا ان قريشاً هم فهر ومن تناسل منه ، وان من كان فوق فهر من آبائه وأولادهم ليسوا من قريش اذا عرفت هذا قلنا لك قد اختلفوا في جماع قريش من هو ؟ على خمسة اقوال . . فقول جماع قريش قصي ، وقيل فهر وقيل النظر وقيل لباس وقيل مضر .

فعلى القول الاول بأن قصياً هو جماع قريش لا يقال لاحد من فوقه قرشي ، ولم اقف على ما يؤيد هذا القول .

قال صاحب السيرة الحلبية ونسب هذا القول لبعض الخوارج قال وهو قول باطل . لان الذين قالوه ارادوه ان يتوصلوا الى ان أبا بكر وعمر ليسا من قريش ، لانهما لم يلتقيا مع النبي إلا فيما بعد قصي لان أبا بكر يجتمع معه في مرة ، لأن تيم بن مرة بينه وبين أبي بكر خمسة آباء ، واما عمر فانه يجتمع مع النبي في كعب ، وبين عمر وكعب سبعة آباء ، فتسكون النتيجة من كون قصي جماع قريش ، هي ان أبا بكر وعمر ليسا من قريش فلا يكون لهما حق في الامامة العظمى ، التي هي الخلافة ، لان النبي قال الائمة من قريش ، وقال لقريش انتم اولى الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق إلا ان تعدلوا عنه .

واما فهر فهو جماع قریش عند الاكثر قال الزبير بن بكار : أجمع
النسابةون من قریش وغيرهم ، على ان قریشاً انما تفرقت عن فهر : قيل
فهر لقب له واسمه قریش ، والصحيح عكس ذلك ، أى ان أباه سماه فهرأ
وان قریش لقب له ، وانما لقبوه بذلك لأنه كان يقرش أى يفتش على خلة
حاجة المحتاج فيسدها له بماله ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن
حوائجهم ، فيرفدونهم ، فسموا بذلك قریشاً ، وعلى ان فهرأ هو جماع
قریش ، لا يكون قریش أبوه مالك ولا جده النضر ، فلا يقال لهما ، ولا
لأحد من اولادهما قرشي .

والصحيح ان جماع قریش هو النضر بن كنانة ، فلا يقال لأحد من
أولاده من فوqe قرشي وبكونه جماع قریش قال الفقهاء والنضر لقب له ،
لقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس ، والدليل على انه جماع قریش
حديث محمد مع وفد كندة ، وذلك انه وفد عليه ستون ، وقيل ثمانون
رجلاً من كندة فيهم الاشعث بن قيس ، وكانت لمحمد جدة من كندة ،
وهي أم جده كلاب . فقال له الاشعث يا محمد نحن بنو آكل المرار وانت
ابن آكل المرار (والمرار شجر يعرف عند العامة « بالمرير » اذا أكلته
الأبل قلمت مشافرها فبدت اسنانها) يعني جدته ام كلاب ، فقال له محمد
لا ، : نحن بنو النضر من كنانة لا نقفو أمنا ، ولا ننتفي من آبائنا ، أى
لا ننسب الى الامهات ، وترك النسب الى الآباء .

وقيل انما قال الاشعث للنبي (وانت ابن آكل المرار) لأن عمه العباس
ابن عبد المطلب كان تاجراً ، وكان يسافر للتجارة ، وكان اذا دخل حياً
من احياء العرب فسألوه من أنت قال : انا ابن آكل المرار يعظم بذلك

عندهم ، لأن كندة كانوا ملوكاً ، فلقول العباس هذا إعتقدت كندة ان قريشاً منهم . فلذا قال الاشعث تلك المقالة للنبي .

ويؤيد ذلك ما في سيرة ابن هشام من أن الاشعث لما قال لمحمد تلك المقالة تبسم رسول الله وقال ناسبوا بهذه النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا اذا شاعا في بعض العرب فستلأ من هاهنا ؟ . قالوا نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك ، وذلك ان كندة كانوا ملوكاً ثم قال لهم (أى رسول الله) لا . بل نحن بنو النضر من كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا .

هذا وانا ارى ان قول محمد لهم « لا نقفو أمنا » يؤيد الرواية الاولى أى ان الاشعث انما قال لمحمد أنت ابن آكل المرار لا لقول العباس هذا بل لأن لمحمد جدة من كندة ، ولا محل لقوله « لا نقفو أمنا » .

ومما يؤيد ان النضر هو جماع قريش ما جاء عن وائلة بن الاسقع قال : سمعت رسول الله يقول : ان الله اصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنو هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ، فهذا الحديث والذي قبله يدلان بصراحة على ان النضر هو جماع قريش ، فالنضر واولاده ومن تناسل منهم هم الذين يقال لهم قريش ، إذ لا يجوز أن يعرف احد نسب محمد أكثر مما يعرفه هو .

تنبیه

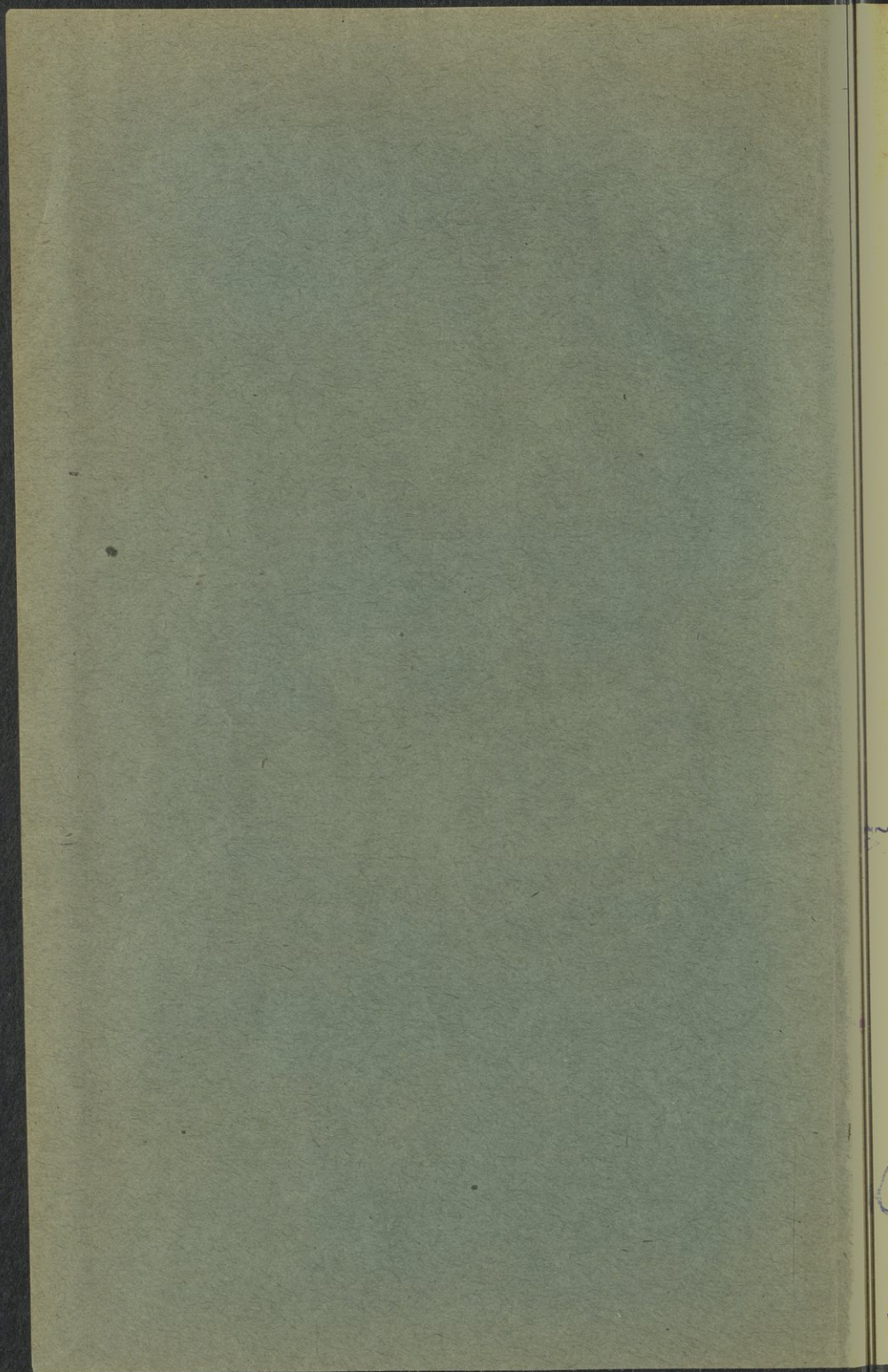
بالرغم من الجهود التي بذلت في تصحيح هذه المجموعة
فقد حدثت في بعض الكلمات أخطاء ولكنها بسيطة وظاهرة لم
نر حاجة الى ادخالها في جدول خاص للخطأ والصواب فانها
لا تخفى على القارئ الكريم

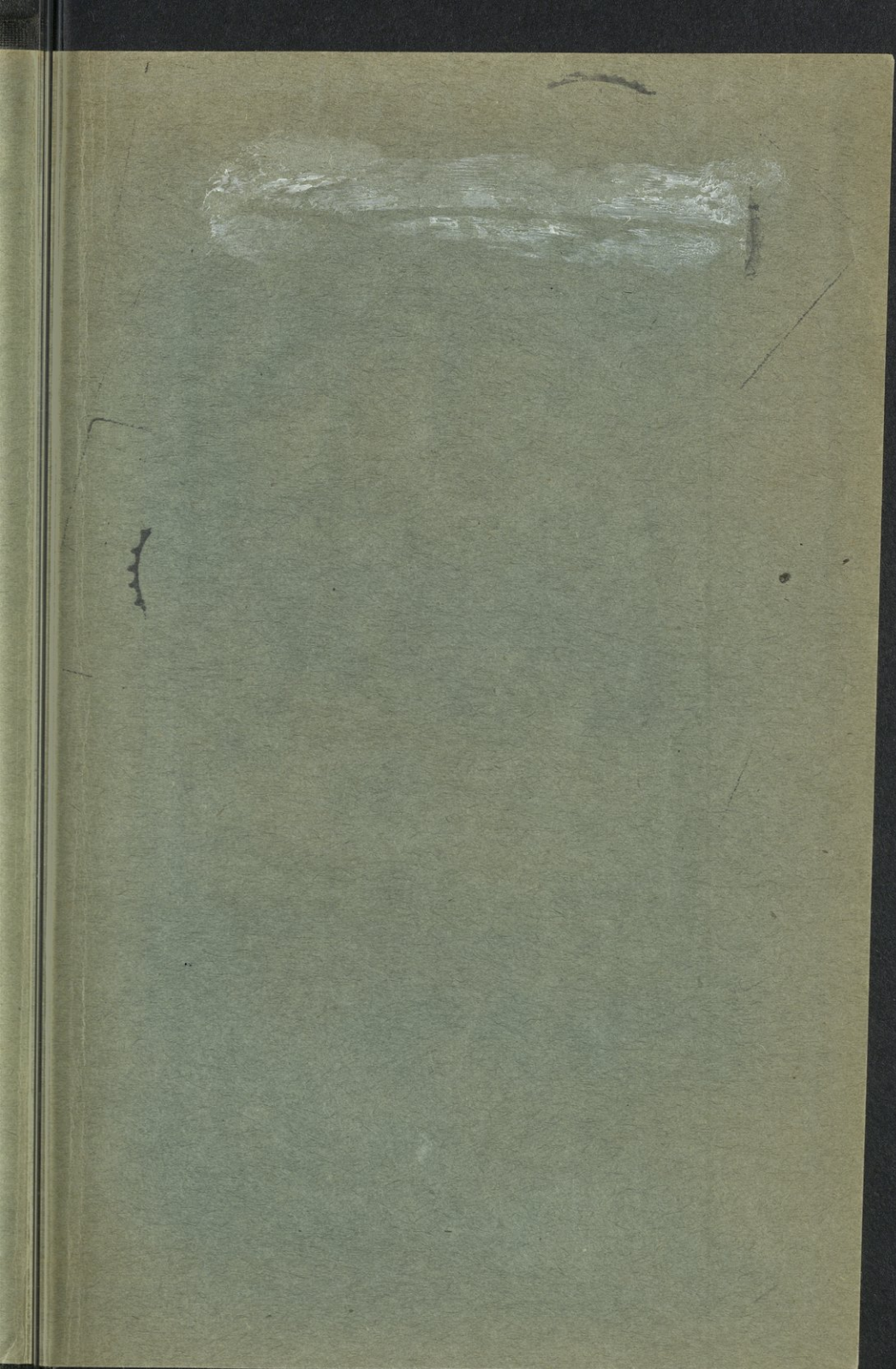
Handwritten notes and calculations, including a table with numbers and some crossed-out text.

164	165	166	167	168	169	170	171	172	173	174	175	176	177	178	179	180	181	182	183	184	185	186	187	188	189	190	191	192	193	194	195	196	197	198	199	200
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----

Handwritten notes and calculations, including a table with numbers and some crossed-out text.

164	165	166	167	168	169	170	171	172	173	174	175	176	177	178	179	180	181	182	183	184	185	186	187	188	189	190	191	192	193	194	195	196	197	198	199	200
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----





892.74:R94A:c.1

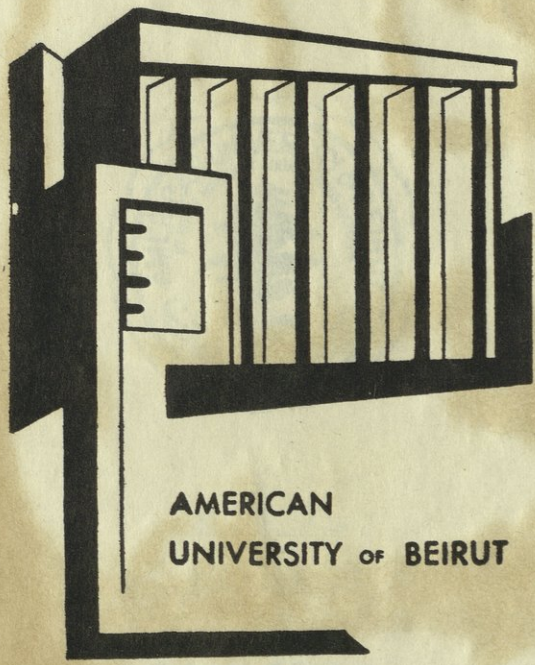
الرصاصي، معروف

آراء الرصاصي في السياسة والدين وال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039182



AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

892.78
R949aA
c.1